الأجوبة المسكتة

تأليف : علي عبد عيدان الخزاعي

تقديم : عزيز السيد جاسم

الأجوبة المسكتة

تأليف : علي عبد عيدان الخزاعي

تقديم : عزيز السيد جاسم

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم





الى جيل الغد . . .

أهدي هذا الدرس . . .

والأمل ان يكون موضوعاً هاماً في مدارس النضال . . .

مع أطيب التحيات

المؤلف



هذا المؤلف « الأجوبة المسكتة » ينم عن قدرة جيدة في التنقيب والاستدلال ويكشف عن حس نقدي في الأدب والتاريخ العربيين ، هيأ لكاتبه الاستاذ الخزاعي إمكانية الرد على الاعتقادات الباطلة في عدم جدوى دراسة التراث أو في خمود الأمة .

إن تأريخ أمتنا العربيـــة ، حافل بالقضايا العميقة ، والمواقف الصائبة ، وقد لعبت « الكلمة » في هذا التأريخ دوراً مجيداً ، هو دور الكاشف الحقيقي ، والسلاح الذي لا ينثلم .

وما أحوجنا الآن ، ونحن في محنة المصير ، أن نستعيد بعض تراثنا لنلمس امكانية المجابهة والتحدي عند العربي منذ القديم ، لتكون لنـا دافعاً يحفزنا نحو تطوير وشحذ هذه الامكانية ، حتى نقوى على مقارعة الاستعمار والصهيونية والرجعية ، بعزيمة الثوري ، الذي يجد في تأريخه قاعدة وأساساً لمستقبل متحرر .

إن مؤلف الاستاذ الخزاعي ، الغني بالعلامات والاشارات والمحاورات العربية اللاذعة والهادفة ، جدير بأن يقرأ . . .

وبعد القراءة ، لابد أن يتأمل القارىء . . .

لأن الكتاب هذا ليس للمتعة ! . . .

عزيز السيد جاسم

وجدير بالذكر . . .

للماضي مواقف حاسمة ، لا تنساه الأمم ، حين يسعفها الوقت ، فتقلب صفحات تأريخها الطويل .

وليس عاراً على الأمة أن تفعل ذلك ، لأن ماضي الشعوب ، هو فصل من حياتها منها واليها ، وتزداد هذه النظرة جلالاً وتقديراً ، كلما كان الماضي مشرفاً يدعو إلى التجلة والاعجاب . . .

ولابن خلدون في التأريخ قال : « فن يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك ، لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا » .

وحسبنا عزيزي القارىء ، ما بلغه العرب من شأن عظيم في فن الكلمة وجودة استعمالها ، ولا عجب ، فانها أمة القرآن ، وذلك عنوان كبير لأمة خرجت للنور بأبهى حلل الشرف والعظمة ، ناهيك عن أسواقها الأدبية ، وأيامها المشهودة ، وناهيك عن المواسم والأعياد . . .

فلقد كانت تربية الاسلام لهذه الأمة ، تتجلى بأسمى معانى الكمال والصواب ، فلقد سارت المواكب البشرية ، لتحطم قلاع المستحيل ، ثم خلقت ما استطاعت خلقه من معجزات تكاد تتكلم بألسنتها عن عظمة هذه الجماهير البطلة ، التي تشبثت بأضعف خيط للرجاء وهي في ذلك انما تضع الأمل والتفاؤل ، حين تحاول أن تكرر محاولاتها دون كلل .

إن الصراع بين الرذيله والفضيلة ، صراع دائم لا ينتهي . . .

وقد تنتصر الرذيلة ولكن الحق والصلاح ، لا يموتان وإن هزما أو قهرا انهما يضعفان ، ولكن الموت لا يحضرهما ، لأنهما خلقا ليكونا نهاية كل مطاف .

ولأنهم عرفوا هذه الحقيقة ، كانت كلمتهم ، وكانت جرأتهم على قولها ، لسان صدق يحدث الجيل المعاصر ، يضع أمامه حصيلة عصر جاد برجال كانوا مثلاً عالية في الانسانية لا تداينهم أمة ، كانوا يؤدون دور البطولة ، في كثير من الحوادث والوقائع وهم يسعون وراء الشهادة في في سبيل الحقيقة ، وحفظ كرامة الأمة . . .

لقد كان في العرب ، كثير من المفكرين والثوار ، الذين كانوا دائماً ، يحسون بضرورة ايجاد الحاكم العادل ، لأنهم كانوا رجالاً أباة أشداء ، ذوي بأس ، لا يرتضون حياة الفوضى والاستبداد ، وانه لايمكن لمجتمعهم التجدد ، مالم تكن هناك نهضة ، يندخر فيها معرقلوا المسيرة الجماهيرية في تطلعها الى الغد السعيد . . .

وكانوا من خلال هذه المقاومة ، عظيمي الثقة والأمل بالنفس ، لا ييأسون البتة وهم يتطلعون الى الأمل بشجاعة وثبات ، يدفعهم في ذلك طبيعة العربي النجيبة ، التي تأبى دوماً أن تكون مطية للجهل ، أو سلعة يتاجر بها ذوو النوايا الشريرة . . .

وهذا الكتاب ، يتناول الأدب الرفيع ، أدب المقاومة والاعجاز في البليغ الموجز أدب الحكمة والموعظة الحسنة ، يصب في نماذج رائعة من نتاج اللسان العربي المؤمن بالتضحية والكرامة والحرية ، وتصور بصدق التجارب الحية ، التي عاشها جيلنا المتقدم والتي بذت خلاصة طاهرة لخبرة طويلة ، كانت حافلة بالنجاح والفلاح . . .

ولا أخفيك سراً ـ عزيزي القارىء ـ أني كنت من أشد الناس

وأكثرهم شغفاً وولعاً بالأجوبة المسكتة التي عرف بها أجدادنا رحمهم الله والتي كانت تطالعني كلما خلوت بكتاب في الأدب ، ويزداد عشقي لهذه الأجراس ، كلما قرعت بجرأة وشجاعة في محافل الجد .

ولم أكن لأضيع الفرصة من بين يدي ، وأنا أتصفح ديواناً أو كتاباً معطراً بهذه النفائس ، في تدوين ماتجمعه شباكي من هذه اللوحات أثناء مطالعاتي ، حتى توفرت لدي مجموعة طيبة لمختلف العصور العربية عكفت على تبويبها بالشكل الذي تراه . . .

ولكي لا تبقى هذه المختارات ، قطرة في انتظار السيل ، كان لابد للغيث أن ينهمر وكان لزاماً علي ، أن أعمل على ايقاظ هذه المجموعة من بعد سبات طويل . . . وراح الفكر يتخطى لحظات الزمن حتى استقر اخيراً ، على الأخذ بجانب منها ، وجعله موضع بحث يوقف القارىء الكريم ، على أبواب شتى . . .

فتلك الباب الاولى ، التي جعلتها في مقدمة الموضوعات ، لتكون صدر هذا الكتاب خاصة بدور الكلمة الفعالة ، لمواجهة السلطان الجائر والمسؤول الجاني ، يبرز فيها الوجه الحقيقي للعربي الشهم البطل ، الذي ملأ تأريخه النضالي بالعبرة والدرس الأوفى ، واعطى الدليل بعد الدليل على صدق الوفاء للامة والمجتمع ، وعلى التضحية بكل معنى التضحية من أجل الكرامة والشرف . . .

ثم كان الباب الثاني ، وهو النافذه التي أطللنا منها على مجالس الخلفاء والأمراء حيث لكل حديث حادث ، وحيث تدخل الكلمة حلبة الصراع ، لتخرج منها عملاقة شامخة تتحدى كل شيء . . .

وكان لابد في الباب الثالث ، من وقفة ، على الدور الذي كانت فارسته المرأة العربية الشجاعة ، التي زاحمت أخاها الرجل في ساحات

الوغى ، واقتحمت عليه مجالسه ، لتمنح التأريخ ، ثروة ضخمة من المواقف الجليلة الحاسمة ، التي لا تنسى . . .

وبين الناس ، حيث يجمعهم السمر ، وحيث يلتقون في الطرقات أو في المحافل والأندية . . يحدث الكثير ، وتتقاذف الأجوبة ، كما تندفع السهام في ملاحم القتال .

ومن هنا ، وهناك ، جئت اليك ـ عزيزي القارىء ـ بباقة عطرة لك ، حصرتها في الباب الرابع ، حيث يليه باب آخر ، أعددته إعداداً خاصاً سيجعل بين أسنانك متعة ، تذكرك بهذا الكتاب ، دوماً . . . وإلى الأبد . .

وختاماً ، لا يسعني أن أفيد بأن هذا هو كل شيء ، وهو كل ما استطعت اليه سبيلاً .

فهو ـ إن صح القول ـ غيض من فيض ، وبعض من كل ، فرض علي أن أقتصر على ما ارتضاه الذوق ، واستحسنته الأذن ، ولو ألقينا بهذا القيد ، لملأنا الصفحات التي لا يحصرها عدد .

فأرجو ألا اكون بذلك قد ألقيت بنفسي في بحر اللائمة ، واذا كنت كذلك فان قليلاً من الناس ، يصيبون على دوام الوقت . . .

١٥ / ٩ / ١٩٧٠ م

علي الخزاعي

القسم الأول

الفصل الأول

في رحاب المقاومة

لا أظن أحداً يعارض في أن قدسية الصورة الأدبية والتأريخية تعتمد ـ قبل وبعد كل شيء ـ على مدى تعبيرها عن مشاعر الجماهير واحاسيسها ، وجدانها وتفكيرها ، وهي إنما تبرز الوجه الناصع لاتجاهاتها ومستوياتها الحضارية في مختلف الجوانب . . .

واقد كانت سنوات العرب ، حبالى بمواقف الكلمة الرشيدة ، وهي تصارع السلطان إذا أسرف ، والجاهل إذا أتلف ، والعالم إذا أسف . .

إن الصراع بين الحكمة وأعدائها ، صراع طويل لا ينتهي ، وينتصر الاعداء ، وقد ينتصر الجبارون ، ولكن إلى حين ، ولا تموت الكلمة ـ وإن قهرت ـ لانها ستظل تزداد ضرامة واشتغالاً ، لتملأ الدرب نوراً ولتعلن الصراع من جديد ، لأن الكلمة لسان الشعوب والشعوب هي كل شيء في هذا الوجود ، ومنها ولها كل أمر وقرار . . .

والضمير الأدبي الأمين ، يواجهنا اليوم ، وهو يحمل على كتفيه

مجموعات متكاملة من المواقف الجليلة التي تتمثل فيها قدسية الكلمة ، وبراعة الجهد في اخراجها ، وسمو الجرأة في قولها . . . واذا كان لها من مكان فهي الذخيرة الضخمة التي حملها الينا التاريخ . مصوراً لنا روح الانسان العربي في زحمة صراعه ، من أجل التقدم والثورة على الأوضاع السلبية الشاذة . . .

إن هذه الكنوز والذخائر النفيسة ، لتكشف بكل جلاء وتبيان النفسية السامية للشخصية العربية ، التي عرفت دائماً وأبداً بشهامتها ونجابتها ، وهي تعيش حياتها بعز وكرامة ، ونضج فكري ، ووجداني عالمة بالزيف الذي تصنعه اليد الجاهلة أو المستغلة ، أو المغرضة ، تعرقل مسيرة الجماهير العربية من خلال انطلاقاتها عبر التأريخ ، السياسي ، والأدبي . . .

إنها ثرية بالحكمة ، ثرية بالتربية الموجهة ، ثرية بالوعي الثوري الأمين ثرية بالارشاد والموعظة الحسنة . . .

إنها من أروع ما صاغته قرائح المربين ، لأنها تصدر عن إنسان كامل الشعور بالمسؤولية ، وصادق النية في محاربة الفساد والضلال . . .

وانت ـ عزيزي القارىء ـ ، ما تضع صفحات التأريخ بين يديك حتى تبدو أمامك روضة غناء يانعة ، تحتار من أي الزهور تقتطف ، ترى أي منهج للحياة ، هذا الذي يوحي ويوجه ؟ ! !

لست أريد في هذا ، أن أتحف القارىء الكريم ، موضوعاً متكاملاً لا نقص فيه ، من خلال صفحات معدودات ، تعرض علي أن اكون بمقتضاها ، ولكني أحسب أن بالامكان بذل المتيسر المغني ، الذي لا مفر منه في موقفي هذا القصير . . .

فالحديث عن العرب ، حديث طويل وقد لا ينتهي ، ولعل من

الحكمة أن نقتطف ثمار مادتنا من هنا وهناك ، في ربوع ماضينا العتيد . . ،

فمنذ أن كان النور ، وكان للعربي وجود على هذه المعمورة ، لم يكن يعرف ، على مسرح تأريخه ، مكاناً للذل يتبؤ منه .

واذا كانت الكلمة تعني الفكر ، فان الفكر هو الانسان ، وهو الذي يجب أن يعيش دون قيد . . .

هذا موقف جاد ، أدركه الانسان العربي بعمق ويقين ، فلم يعد يصنع تأريخه المجيد إلا بقدر ما كان يدفن مخاوفه تحت التراب ، ليواجه الحياة ، وهو حرب على الاستبداد والرجوعية والسلبية العقيمة ، قبل أن يكون سلماً أو هدنة مع المستغلين .

فسجل من خلال مسيرته ، دروساً عظمى للاجيال التابعة ، وسطر على صفحات المجد ، سطوراً ما استطاع الزمن أن يخفيها ، لأنها الشعلة المنيرة في كل زاوية ومكان .

فدعونا نعود أدراجنا ـ اليوم ـ . لنطأ أرض الجدود ، أيام شيوخنا الراشدين ، إذ كان من عادات صبيان المدينة ، أن يفروا بعيداً ، ليخلو الطريق الى عمر بن الخطاب ، وهو يمر في موكب من الهيبة والجلال . . . ومنهم صغير (١) عنيد ، يصر على ألا يفر ، ويصمد واقفاً يتحدى كبيراً

---

(١) ـ في (عيون الأخبار) ـ مر عمر بن الخطاب بالصبيان ، وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففروا ووقف ، فقال له عمر : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أجرم فأخافك ، ولم يكن بالطريق فأوسع لك !

وفي (أخبار الظراف) ـ ومر عمر بن الخطاب ، والزبير بن بكار يلعب مع الصبيان ، ففروا ووقف ، فقال : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ قال : . . . . الخ

لا يقهر . . . ويعجب عمر بن الخطاب ، وتلح عليه الدهشة ، وينحني ليسأل الصغير : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ ! قال - والدم الهادىء يملأ العروق - يا أمير المؤمنين ، لم أجرم فأخافك ، ولم يكن بالطريق ضيق فأوسع لك . . . !

صورة حية ، ملؤها الروعة والقدسية ، من صور التربية العالية السليمة التي غرسها العرب في نفوس صبيانهم ، حتى خلقوا فيهم عقولاً تعبت في مرادها الأجسام .

وتلك ميزة سما بها المجد العربي ، حيث تقهقرت جيوش الجهل والمخاوف أمام زحف الأفكار النيرة والجرأة الفريدة ، وساد المنطق والوعي المتكامل ، حتى بلغا الذروة على لسان أعرابي حضر بين يدي عبد الله بن طالب - وكان في شدقه عوج - فقال له : يا أعرابي ، مابال شدقك معوجاً ؟ ! . . . فكانت الواقعة . . وكان الرد الرادع ، والجواب المفحم ، قال له : تلك يا عبد الله ، عقوبة عاقبني الله بها لكثرة ثنائي عليك بالباطل . .

نعم ، إن الثرثرة الخادعة ، إنما هي حيوان مفترس ، يقضي على كل عرف ، ويبتلع كل الحقائق والحقوق ، وهي المرض الخطير الذي لا يبقى من الفضائل ولا يذر .

وهي موكب ، حين يزج المرء بنفسه فيه ، فانه يستدرج رجليه الى المزلق الخطير ، الذي يفقده كل عناصر الفضيلة والصدق .

ومن هذا المنطق ، تنفتح زاوية أخرى ، ولكن هذه المرة ، مع مصعب بين الزبير ، إذ عاتب الأحنف بن قيس ، على شيء بلغه عنه فاعتذر اليه الأحنف من ذلك وأنكره . قال مصعب : أخبرني بذلك الثقة ! فقال الأحنف : كلا ، أيها الأمير ، إن الثقة لا يبلغ . . . !

كلمة عذراء ، يقام لها ويقعد ، حيث تبلغ من العظمة ، درجات لا يعتليها القول إلا لماما ، إن الثقة لا يبلغ . دستور لكل الناس ، ومنطق ترجمت فيه العلاقة بين الراعي والرعية ، وتجسدت فيه المعاني الأصيلة ، للانسان الثقة الذي يصنع تأريخه بيده ، ولا يستعذب طعم الوشاية والزيف . . .

وكثير أولئك الذين تعاموا عن الواقع الذي هم فيه ، يضربون الأمثال فينسون أنفسهم ، ولكن اللسان العربي ، كان دائماً يقرع على الرؤوس ، ليعطي الدرس بعد الدرس للمسرفين ، وهو أداة غير أمينة إذا اتخذها أولو الألباب ليصدوا عن وجوههم ذل الاهانة والوضاعة ، كما كان من أمر شريك بن الأعور ، حين دخل على معاوية بن أبي سفيان وكان دميماً ، فقال له معاوية : إنك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك ، وما لله من شريك ، وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور ، فكيف سدت قومك ؟ !

وينبسط اللسان ، فاذا هو الجواب المنطلق ، والحسام الصارم ، فيقول شريك : إنك معاوية ، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وإنك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب ، والسلام خير من الحرب وانك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت ، فكيف صرت أمير المؤمنين ؟ ! ! !

ويتقهقر معاوية أمام واقع الحال المرير ، يبحث عن حمام بارد يدفع عنه حرارة الصيف ، ولكن بين الفأر والمصيدة ، حبل متين لا ينقطع ، ويعاوده الحنين ويجمع المكان معاوية بجارية بن قدامة ، ويبتدىء معاوية فتح النافذة على نفسه من جديد ، فيقول : ما كان أهونك على قومك إذ سموك جارية ! فقال : ماكان أهونك على قومك

إذ سموك معاوية ، وهي الانثى من الكلاب ! قال : اسكت لا أم لك .

ويصر جارية بعناد ، ليرد على كل كلمة ، وباسلوب اكثر حرارة قال : أم لي ولدتني ، أما والله ، إن القلوب التي ابغضناك بها لبين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا ، وإنك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة . . . ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً ، وأعطيناك سمعاً وطاعة ، فان وفيت لنا وفينا لك ، وإن نزعت الى غير ذلك ، فانا تركنا وراءنا رجالاً شداداً وأسنة حداداً .

فقال معاوية : لا أكثر الله في الناس مثلك يا جارية . فقال له : قل معروفاً ، فان شر الدعاء محيط بأهله ! . .

ويغضب الحق ، وتنطلق الكلمة ، لتكتسح كل عقبة ، تشق طريقها بين الجماهير ، لتمسك بتلابيب معاوية ، وهو يعلو منبر الخطابة ، يخطب في الناس يوماً قائلاً : إن الله تعالى يقول : وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم ، فعلام تلومونني إذا قصرت في عطاياكم ؟ !

فقال له الأحنف : وإنا والله ، لا نلومك على مافي خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه ، فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه !

صرخة جريئة بوجه الاستغلال ، أملتها جرأة العربي الأصيل في محاسبة المسؤولين عن أموال الرعية . . . وهذا الأحنف من ذلك المجتمع المزدحم بالألسنة الحداد التي لا توقفها عن الحركة سطوة متجبر ، أو جبروت جائر . . .

فللناس حق معلوم في خزائن بيت المال ، جميعهم بلا استثناء . ولهم أن يعيشوا أخواناً ، لا فرق بين الصغير والكبير ، وبين الغني والفقير

إلا بقدر ما يقدمه المرء لأمته من خدمات وتضحية ، ليكون إبناً باراً لمجتمعه وأمته . . .

ومن هذا المجتمع ، الصاخب بالثورة ، جاء رجل الى معاوية . ليقول له : سألتك بالرحم التي بيني وبينك !

فقال : أمن قريش أنت ؟ قال : لا . !

قال : أفمن سائر العرب ؟ قال : لا . !

قال : فأية رحم بيني وبينك . . ؟ !

قال : رحم آدم . . . !

وأعيت معاوية الحيلة ، ودارت به الأرض المدار ، وقال - وهو يستنجد بوفاء القريحة - : رحم مجفوة ، والله لأكونن أول من وصلها .

واندثرت الدولة ، وقامت قائمة العباسيين ، وصام الناس في سنة شديدة الحر ، وكان أبو دلامة الأسدي ، يتنجز جائزة أمر له المهدي بها .

فكتب اليه أبو دلامة ، رقعة يشكر فيها أذى الحر والصوم ، ومطلع القصيدة :

أدعوك بالرحم التي قد جمعت   في القرب بين قريبنا والأبعد

فلما قرأها المهدي ، غضب وقال : أي قرابة بيني وبينك ؟ !

فأجابه أبو دلامة على الفور : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ؟ !

فلما سمع المهدي منه ذلك ، ضحك وقال : لا والله مانسيتهما . . . وأمر له بتعجيل ما أجازه به وزاد عليه .

ولو أمعنا النظر جيداً الى هذا القول ، الذي وجهه أبو دلامة للمهدي لوجدنا أنه قد أصابه بسهم من حيث لا يشعر ، إذ حاول أن يذكره بأنه لا يتميز عن غيره ، وهو وغيره لأب واحد ، وأم واحدة ، والجميع متساوون في الحقوق ، وكأنه يريد أن ينصحه بترك غرور الخلافة ، والبطر . .

وهذا واحد من صغارنا النجباء ، ألقى قذيفة بوجه الأمويين ، يوم كانوا يتربصون على عروش عزهم وسطوتهم ، صاغ فيها دعوة صريحة لتقديس الكلمة ، لأنها طريق الشعوب نحو حياة كريمة فاضلة .

دخل الشام ، وهو غلام ، فتقدم خصماً له ، وكان الخصم شيخاً كبيراً ، الى بعض قضاة عبد الملك بن مروان .

فقال له القاضي : أتتقدم شيخاً كبيراً ؟ !

قال الغلام : الحق اكبر منه !

قال : اسكت !

قال الغلام : فمن ينطق بحجتي ؟

قال : لا أظنك تقولى حقاً حتى تقوم !

قال الغلام : « لا إله إلا الله » ، أحقاً هذا أم باطلاً ؟ !

فقام القاضي ، فدخل على عبد الملك من ساعته ، فخبره بالخبر ... فقال عبد الملك : إقض حاجته الساعة ، وأخرجه من الشام لا يفسد علي الناس .

لا يمكن البتة ، أن يكون المرء لبنة حية ، في بناء المجتمع والأمة إلا حين يحس بقيمة الفرد وأهميته بالنسبة للآخرين ، وما دامت نفسه تعيش في عالم مظلم مليء بالأنانية والحقد والانتقام ، فانه لابد ملاقيها كلمة عجلى صائبة ، تذهب عنه النعاس ، وتلين أنفه لأصابع الآخرين ...

ولعل من الحكمة ، أن نضرب لذلك مثلا ، من مكان في قريش أعدت فيه وليمة ، تولى أمرها مقاس الفقعسي ، فأجلس عمارة الكلبي فوق هشام بن عبد الملك ، فاحفظه ذلك ، وآلى على نفسه ، أنه متى أفضت الخلافة اليه عاقبه .

فلما جلس في الخلافة ، أمر أن يؤتى به ، وتقلع أضراسه وأظفار

يديه ، ففعل ذلك به .

ذلك الذي كان من أمر هشام ، الرجل الذي حاول أن يقضي على صوت الجماهير ، وأن يكبح فيهم جماحاً هائجاً لا يخمد ، فخدع نفسه حين كان يعتقد في ذلك القدرة ، واوقع نفسه في مزالق متعبه ، حين أراد أن يعبث بكبرياء الآخرين . . .

فلما قدم حاجاً الى بيت الله الحرام ، ودخل الحرم ، قال : إئتوني برجل من الصحابة . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، قد تفانوا . قال : فمن التابعين . ! فأتي بطاووس اليماني .

فلما دخل عليه ، خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بأمير المؤمنين ولم يكنه ، وجلس إلى جانبه بغير اذنه رقال : كيف أنت ياهشام ؟

فغضب هشام من ذلك غضباً شديداً حتى هم بقتله ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، أنت في حرم الله وحرم رسوله . فلا يكون منك ذلك ثم التفت إلى طاووس وقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ !

قال : وما صنعت ؟ !

قال : خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تسلم علي بيا أمير المؤمنين ولم تكنني ، وجلست بازائي بغير أذني ، وقلت : يا هشام كيف أنت ؟ ! !

فقال له طاووس : أما خلع نعلي بحاشية بساطك ، فاني أخلعهما بين يدي رب العزة ، في كل يوم خمس مرات ، ولا يعاتبني ولا يغضب علي ، وأما قولك : لم تسلم علي بيا أمير المؤمنين ، فليس كل المؤمنين راضياً بامرتك ، فخفت أن أكون كاذباً .

وأما قولك تكنني ، فان الله عز وجل ، سمى أنبيـاءه ، فقال : يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى . وكنى أعداءه فقال : تبت يدا أبي لهب .

وأما قولك جلست بازائي ، فاني سمعت أمير المؤمنين ، علي بن

أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار ، فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام .

فقال هشام : عظني يا طاووس .

فقال : إني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إن في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ... ثم قام وخرج ...

وقبل ذلك ، في خلافة أخيه الوليد ، كانت المفاجأة أقوى ، وكان الرد أشد وأنكى ...

فلقد حج ومعه رؤساء أهل الشام ، فطاف وجهد (١) أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام .

فنصب له منبر ، وجلس ينظر الى الناس . فأقبل علي بن الحسين رضي الله عنهما ، وهو أحسن الناس وجهاً ، وأنظفهم ثياباً ، وأطيبهم راحة (٢) .

فلما طاف بالبيت ، وبلغ الحجر ، تنحى الناس كلهم إجلالاً له فاستلم الحجر وحده ، فغاظ ذلك هشاماً . وبلغ منه . فقال رجل من أهل الشام :

من هذا أصلح الله الأمير ؟ !

قال هشام : لا أعرفه - وكان به عارفاً - ولكنه خاف من رغبة أهل الشام فيه فيملكوه عليهم .

فقال الفرزدق - وكان حاضراً - : أنا أعرفه ياشامي ، قال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

---

(١) جهد : حاول وتعب

(٢) الراحة : باطن اليد .

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلهم : إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك : من هذا ، بضائره العرف تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام أياماً ثم أطلقه ، فوجه اليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم ، وقال : إعذرنا يا أبا فراس ، فلو كان معنا في هذا الوقت اكثر لوصلناك به .

فردها الفرزدق ، وقال : ما قلت ما كان إلا لله .

فقال علي بن الحسين : قد رأى الله مكانك ، ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه ، وأقسم عليه فقبلها .

تلك كانت رمية صائبة وسديدة ، من الفرزدق . وما كان بذلك قاصداً أمراً غير الحقيقة ، وغير تحطيم الأنفة التي كان يمتطيها رجل يدعى بأمير المؤمنين .

ولقد يشهد لنية الفرزدق ، وصفاء سريرته ، وشرف موقفه ، قول يزيد بن المهلب فيه : « ما رأيت أشرف نفساً من الفرزدق ، هجاني ملكاً ، ومدحني سوقة ! » .

وكان هذا الفرزدق ، سريع الرد ، مسكت الجواب . . . ومواقف كثيرة له تعزز هذا القول .

منها أنه مر بالمربد ، فرأى خلف بن خليفة الشاعر ، فقال خلف للفرزدق : يا أبا فراس ، من القائل :

هو القين وابن القين لا قين مثله
لقطع المساحي أو لقد الأداهم

فقال الفرزدق : الذي يقول :

هو اللص وابن اللص لا لص مثله

لقطـع جـــدار أو لطر دراهم

قال سقراط : عندما تنفرج شفتا متحدث عن كلمة (أحسن) أو (قبيح) فيجب أن تنطلق الكلمة كالرصاصة المقذوفة في حذق نحو معناها الأوحد حتى لا تضطرب المفاهيم وتتلعثم الكلمات . . .

هذا الأسلوب ، نال من العرب ، اهتمـاماً كبيراً ، فأدخلوه في حسابهم مع ما كان يقال : « كن ثابتاً أمام غيرك من النـاس ، لأن الانسان في مأمن بين يدي الله » .

وبهذا السلاح ، يتشح يزيد بن أبي مسلم ، فيدخل على سليمان ابن عبد الملك ، ليقذف بوجهه رصاصته في حذق ، نحو معناها الأوحد دون اضطراب .

قال له سليمـان : على امرىء أمرك وجرأك وسلطك على الأمة لعنة الله ، أتظن الحجاج استقر في قعر جهنم ، أم هو يهوى فيها ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة ، بين أخيك وأبيك ، فضعه من النار حيث شئت . . !

* * *

ألا ما أروع الكلمة ، التي تنطلق نحو عروش الجبارين كالنـار ، لا تبقي ولا تذر ، !

ولقد كانت ممتعة حقاً مع الحجاج بن يوسف الثقفي ، ذلك الذي عرفته الامة العربية ، قائداً له من البطش والسطو ، ما جعله حديث عصره ، ومدار حديثنا اليوم .

ولكن قوته التي أحنت له رؤوس الاشهاد ، ليقطف منها رؤوساً قد أينعت ، لم تستطع أن تغلق أفواههم ، ولم تستطع أن تقف بوجه الكلمة ، لأن الكلمة هي الجماهير ، والقيم ، كل القيم . . .

قال الحجاج لامرأة من الخوارج : « إقرأي شيئاً من القرآن » .

فقرأت : « إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس (يخرجون) من دين الله أفواجاً » !

فقال : ويحك . . (يدخلون) !

قالت : كان ذلك في عهد أسلافك ، وإنما في عهدك يخرجون . !

تلك كانت امرأة ، ولكنها أقوى من الحجاج ، لأنها آمنت بالكلمة ورأت فيها سلاحاً لابد أن يشهر بوجه الذين لا يفهمون الجماهير . . .

إن امرأة تتسلح بالكلمة ، وتمتاز بقوة وجلد ، لتقولها بوجه رجل خلا قلبه من كل رحمة ، جديرة بأن تكون سعيدة ، لأنها تهضم جيداً سمو الكلمة التي يجب أن ترتفع عالياً ، في سماء الشعوب . . .

وتلك امرأة حرورية أتى بها الحجاج ، فقال لأصحابه : ماتقولون في هذه ؟

قالوا : اقتلها ، أصلح الله الأمير ، ونكل بها غيرها . !

فتبسمت الحرورية ، فقال لها : لم تبسمت ؟

فقالت : لقد كان وزراء اخيك فرعون ، خير من وزرائك ، يا حجاج ، استشارهم في قتل موسى ، فقالوا : ارجه وأخاه ، وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي !

فضحك الحجاج وامر باطلاقها . . .

وكعادة الحجاج دائماً ، بحبه الشديد لأن يرى الحصاد يلتهم الرؤوس ، قال لامرأة من الخوارج : والله لأعدنكم عداً ،

ولأحصدنكم حصـــداً !

فقالت : أنت تحصد ، والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق ؟ ! .

وبضع كلمـات نجيبة رائعة ، قيلت في مكان لا يناسب إلاها ، فأصابت كبد الحجاج بطعنة ، غيرت ـ عندها ـ عزماً كان قـد اتخذه لقتل أسرى أتي بهم اليه من الخوارج ، فأمر بضرب أعناقهم ، فقدم فيهم شاب . . .

فقال : والله يا حجاج ، لئن كنا أسأنا في الذنب ، فما أحسنت في العفو .

فقال الحجاج : اف لهذه الجيف ، ما كان فيهم من يقول مثل هذا ! . . . وامسك عن قتلهم ! . .

وتأتي الحجاج ، قذيفة أخرى من أعرابي ، فيطير لها صوابه ، وينفذ صبره حتى يوشك ان يلتهم التراب غيظاً ، بعد ان كان يحسب أن سيضع الناس في كفه ذهباً ، حين سأل الحجاج اعرابياً عن أخيه محمد ابن يوسف الثقفي :

ـ كيف تركته ؟

قال الاعرابي : تركته عظيماً سميناً !

قال : ليس عن هذا أسألك ؟

قال الاعرابي : تركته ظلوماً غشوماً !

قال : او ما علمت أنه أخي ؟ !

قال الاعرابي : أتراه بك اعز مني بالله !

وهكذا ، مضت الجماهير تعلن غضبها على الحجاج ، بكل وسيلة ، غير عابهة للتضحيات ، لأنها يجب ان تستعيد حريتها بأي ثمن كان ،

حتى صغر الحجاج في اعينهم ، وما عاد يمثل عندهم ، إلا رفيقاً يمازحونه ويمازحهم . . .

فحين ظهر درويش زعم أنه مستجاب الدعوة ، استدعاه الحجاج وقال له : إدع لي بالخير .

فقال الدرويش - بعد أن رفع وجهه الى السماء -

اللهم اقبض روحه . . !

فصرخ الحجاج في وجهه غاضباً : ماذا ! ! ؟

فقال الدرويش : هذا الدعاء خير لك وللمسلمين كافة !

ولعل من طريف ما حدث ، أن الناس كانوا يلاحقون الحجاج في كل مكان ، حتى أنهم كتبوا مرة على منبره الذي يخطب عليه : « قل تمتع بكفرك قليلاً ، إنك من أصحاب النار » !

فلما حضر الحجاج وقرأها ، لم يفعل شيئاً سوى أنه كتب تحتها : « قل موتوا بغيضكم ، إن الله عليم بذات الصدور » !

ودخل الشعبي على الحجاج ، فقال له : كم عطاءك ؟ !

قال الشعبي : ألفين !

قال : ويحك . . كم عطاؤك ؟

قال الشعبي : ألفان .

قال : فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك ؟ !

قال الشعبي : لحن الأمير فلحنت ، وأعرب الأمير فأعربت ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه . فأكون كالمقرع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول قبله .

فأعجبه ذلك منه ، ووهبه مالاً .

ليس في هذا حسن تخلص فحسب ، ولكنه نقد بارع وذكي ، لأن

العرب ما كانوا يتذوقون لحناً على لسان عربي ، فكيف وهو على لسان أمير ومسؤول وهو رائد الأمة ، وواجهتها الأدبية والسياسية ، ومثل الحجاج لا يخطىء ولا يلحن وهو الخطيب المعروف .

ولكن ، هل قال له الشعبي ، إنك لحنت ؟ ! . . لم يكن الشعبي ليقول مثل هـذا لأمير ، لا خوفاً أو رهبة ، بل لأنه لا يجهل الذوق البتة . . أراد بذلك اشعاره ، ولكن باسلوب لاذع سريع ، وتلك التي هي أحسن . . .

وهذا رجل من الخوارج ، حملته رجلاه إلى مقام الحجاج يوماً فاذا الحجاج يسأله : أجمعت القرآن ؟ !

ويعبث الخارجي بالجواب ، نازعاً عن رأسه كل اعتبار :

قال : أمتفرقاً كان فأجمعه ؟ !

قال الحجاج : أتقرأه ظاهراً ؟

قاله : بل أقرؤه وأنا أنظراليه .

قال الجحاج : أتحفظه ؟ قال : أخشيت فراره فأحفظه ! !

قال الحجاج :

« ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ »

قال :

« لعنه الله ولعنك معه ! »

قال الحجاج :

« إنك مقتول ، فكيف تلقى الله ؟ »

قال :

« ألقاه بعملي ، وتلقاه بدمي ! »

قلوب شجاعة ، تلك التي تتحدى الطغيان ، وسلام عليها يوم

كانت تقاوم الظـلام بايمان ويقين ، لتحطم قلاع المستحيل ، متشبثة بأضعف خيط للرجاء ، وهو إنما يشكل حركة آلية أملتها عليها طبيعة الحياة العربية ، حتى أنها هيأتها لتكون خصماً عنيداً للظروف السوداء ...

وهذه صورة أخرى ، لذلك المواطن العظيم ، الذي برهن بدقة ، على وجوده وأهميته ، حين أثبت قدرته على التعبير الحر ، عن الواقع الصريح ، الذي كان يحيا فيه وجماعته من مسؤولي الدولة الأموية ...

فحين اطلع مروان بن الحكم ، على ضيعة له بالغوطة ، أنكر منها شيئاً فقال لوكيله :

« ويحك ، إني لأظنك تخونني . . ! »

قال : « أتظن ذلك ولا تستيقنه ! ؟ »

قال مروان : وتفعله ؟ !

قال : نعم والله ، إني لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون الله ، فلعن الله شر الثلاثة ! .

ومرة أخرى ، يجذبنا المطاف إلى مجلس معاوية ، حيث الأحنف ابن قيس ، ذلك الرجل الذي عرف السبيل الى الحقيقة فسلكه ، وثبت قدميه على أرض المواجهة الصريحة دون تردد . . .

شاور معاوية الأحنف بن قيس في استخلاف يزيد ، فسكت عنه فقال :

« مالك : لا تقول ؟ »

فقال :

« إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبناك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله » .

فقال : « صدقت . . » .

ومثل ذلك يقال إلى سليمان بن عبد الملك ، ولكن بطريقة اكثر جدية وتحليل للواقع الفاسد ، الذي يعيشه هذا الرجل بين لفيف من البطانة المستفيدة التي تغري ولا تنصح . . .

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك . فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته ، فان وراءه ماتحب ان قبلته . . »

قال سليمان :

« هات يا اعرابي . . . »

قال :

« إني سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن من عظتك تأدية لحق الله تعالى وحق إمامتك .

إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك . فهم حرب للآخرة ، سلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فانهم لا يألونك خبالا ، والأمانة تضييعاً ، والأمة عسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترحوا ، وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فان آخسر الناس صفقة يوم القيامة ، وأعظمهم غبناً ، من باع آخرته بدنيا غيره . . . » .

وهذه صورة للموقف الفصل ، الذي يختاره التقي الصالح ، ليكون حديثاً معروفاً عنه لا يخشى فيه لومة لائم ، ما دام ينشد رضا الله والحقيقة . . .

قال الوليد بن عبد الملك لأحد العلماء :

« ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ يحدثوننا إن الله إذا استرعى

عبداً رعيته كتب له الحسنات ، ولم يكتب له السيئات » .

فقال العالم :

« باطل يا أمير المؤمنين ، أنبي خليفة أكرم على الله ، أم خليفة غير نبي ؟ » .

فقال الوليد :

« بل نبي خليفة . . »

قال العالم :

« فان الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام (ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ؟ »

فقال الوليد :

« إن الناس ليغووننا عن ديننا » .

وتتكرر الصورة ، ولكن بشكل من التحدي الصلب للارادة الطائشة ، فقد أرسل ابن هبيرة الى الحسن البصري وإلى الشعبي ، فقال للحسن :

« ما ترى أبا سعيد في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها وافقت سخط الله ، وان لم أنفذها خشيت على دمي ؟ » .

فقال له الحسن :

« هذا عندك الشعبي فقيه أهل الحجاز ! »

فسأل ابن هبيرة الشعبي ، فرقق له وقال :

« قارب وسدد ، فانما أنت عبد مأمور ! »

ثم التفت ابن هبيرة الى الحسن وقال :

« ما تقول يا أبا سعيد ؟ »

فقال الحسن :

« يا ابن هريرة ، خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ، يا ابن هبيرة إن الله مانعك من يزيد ، وان يزيد لا يمنعك من الله ، يا ابن هبيرة لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فأعرضه على كتاب الله تعالى ، فما وافق كتاب الله تعالى فأنفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد ، وكتاب الله أولى بك من كتابه .

فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن وقال :

« هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة . ! » .

وهذا صوت الجماهير ، يثب بوجه الحجاج بن يوسف الثقفي ، ليقطع عليه خطبته حين خطب الحجاج فأطال ، قام له رجل من الحاضرين فقال :

« الصلاة ، فان الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرك ! »

فأمر بحبسه ، فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون ، وسألوه أن يخلي سبيله فقال الحجاج : « إن أقر بالجنون خليته . . . »

فقيل له فقال : معاذ الله ، لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني ! »

فبلغ ذلك الحجاج ، فعفا عنه لصدقه . . .

وتنبعث المواجهة بقوة ، لتتمثل في المسؤولين ، فينتفض الوالي ليقف بوجه سيده واميره ، ضارباً صفحاً عن كل أمر يأتي خلافاً للعدل والانصاف . . .

كتب زياد الى الحكم بن عمرو الغفاري .. وكان على الصائفة .. :

« إن أمير المؤمنين معاوية ، كتب إلي يأمرني أن أصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة ، وأقسم ما سوى ذلك » .

فكتب اليه :

« إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، والله لو أن السموات والأرض كانت رتقاً على عبد فأتقى الله لجعل له منهما مخرجاً »

ثم نادى في الناس فقسم فيهم ما اجتمع له من الغنائم . . .

ولعل من الصواب ، ونحن نقترب من نهاية هذا الفصل ، وقبل أن تبدأ رحلتنا للعصر العباسي ، أن نثقل الخطى ، لنستمع الى هذا الحوار العميق ، بين الأعمش وجماعة من أصدقائه المقربين . . .

عوتب الاعمش في دخوله على بعض الأمراء ، فقال :

« هم بمنزلة الكنيف ، دخلت فقضيت حاجتي ، ثم خرجت » !

رائعة هذه الصورة ، إنها النظرة التي يحتفظ بها العربي ، لأولئك الذين يرى فيهم خطراً يجب أن يزول ، وعبئاً ثقيلاً على الصدور ، لابد من دحضه ، حتى إن « سعيد بن المسيب » ـ وهو من خيرة علماء المسلمين في العصر الأموي ـ كان يرفض باستمرار واصرار ، زيارة الأمراء والخلفاء ، ولم يكن يرغب يوماً في إستقبالهم أو مجالستهم ، ولكنه يسعى بنفسه قاصداً دار الامارة ، ليحادث عمر بن عبد العزيز ويجالسه ، أيام تولية الخلافة ثقة منه بأنه يجلس الى رجل يخشى الله في حقوق الآخرين . . .

هكذا ينظر العربي الغيور ، الى أولئك الذين لا يجيدون خدمة الجموع البشرية وهي تندفع بحرارة ، نحو الاكتمال النضالي ، واضعة في المقاومة جميع قدراتها وطاقاتها لا تعرف للتقهقر سبيلا . . .

القسم الأول

الفصل الثاني

في رحاب المقاومة

واندثرت قباب الأمويين ، بعد أن دار الزمن دورته ، لتقوم على الأرض دولة بني العباس ، وخطب أبو جعفر المنصور ، في جماعة من الأعراب في الشام ، فقال :

« أيها الناس ، ينبغي أن تحمدوا الله على ما وهبكم ، فاني منذ وليتكم أبعد الله عنكم الطاعون ، الذي كان يفتك بكم ! » .

فأعترضه أحدهم صارخاً بوجهه :

« إن الله اكرم من أن يجمع علينا في وقت واحد ، الطاعون والمنصور ! » .

وهذا هو صوت الحرية الهادر ، الصوت الذي وقف شامخاً بوجه أشد الخلفاء بطشاً وشأناً .

ويخلع الكلام أثوابه ، لينطلق عارياً صريحاً نحو المنصور ، من نقطة مؤمنة بالكلمة ، واثقة بالحق ، مطيعة للرب ، تنفلت من عقالها

لتصرخ في ساحة التضحية بمواجهة الظلم والاستبداد ، وعدم الشعور بالمسؤولية . .

بينما المنصور في الطواف بالبيت ليلاً ، إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع !

فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأسل إلى الرجل يدعوه ، فصلى ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور :

ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض ؟ وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني ! » .

فقال الرجل :

« إن آمنتني يا أمير المؤمنين ، أعلمتك بالأمور من أصولها ، وإلا احتجرت منك ، واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل . . »

قال المنصور :

« فأنت آمن على نفسك فقل . . . »

فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن الذي دخله الطمع ، وحال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت ! » .

فقال المنصور :

« فكيف ذلك ويحك ! يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي ! ؟ » .

قال :

« وهل دخل أحـــد من الطمع ما دخلك ؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد ، وحراساً معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك عنهم فيها ، وبعثت عمالك في جبايات الأموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت أن لا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان ، نفراً سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري ، ولا الضعيف الفقير اليك ، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق .

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت أن لا يحجبوا دونك ، تجبي الاموال وتجمعها ، قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه ؟ فائتمروا أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خونوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته . فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس ، وهابوهم وصانعوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ، ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو المقدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم من دونهم . فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلماً وبغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينك وبينه فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فان جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته اليك ، فان المتظلم منه له بهم حرمة فأجابهم خوفاً منهم . فلا يزال المظلوم يختلف اليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ، فاذا أجهد وأخرج ، ثم ظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً

يكون نكالاً لغيره ، وأنت تنظر فما تنكر ، فما بقاء الاسلام على هذا ؟

وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين ، فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه ، فبكى بكاءاً شديداً ، فحثه جلساؤه على الصبر ، فقال :

« أمـا إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب ، نادوا في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوماً ؟

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله ، بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه ، لا تغلبك رأفة بالمسلمين على شح نفسك ، فان كنت إنما تجمع المال لولدك فقد أراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن أمه ماله على الارض مال ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحه تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبـــة الناس اليه ، ولست الذي تعطي بل الله الذي يعطي من يشاء ما شاء . فان قلت إنما تجمع المال لتشد به السلطان فقد أراك الله عبراً في بني أمية ، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب ، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد . . . وإن قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فو الله مافوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه . يا أمير المؤمنين ، هل نعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ !

فقال المنصور : لا

فقال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما عقد

عليه قلبك ، وعملته جوارحك ونظر اليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت اليه رجلاك ؟ هل يغني عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب ؟

فبكى المنصور ، ثم قال : ليتني لم أخلق ، ويحك ، فكيف أحتال لنفسي ؟

فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن للناس اعلاماً يفزعون اليهم في دينهم ، ويرضون بهم في دنياهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسددوك .

قال المنصور :

« قد بعثت اليهم فهربوا مني ! » .

قال :

« خافوك أن نحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك . وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات من حلها واقسمها بالحق والعدل على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة » . . .

هكذا يصمد العقل والقلب الشجاع أمام الطغاة ، فيدافع عن الحقيقة رجل ، كان يدرك فضل الشجاعة على التقهقر ، والصمود والثبات على السكوت العقيم ، والتراجع الجبان . . .

وهذا موقف جاد آخر ، تتجسد فيه روح الواقع اليائس ، الذي تتبلور فيه الكلمة لتبلغ ذروتها في ظل القدرة الهائجة ، التي تمحو كل تدارك أو حدود ، إذ يجب أن يكون المسئول عندها فى أقوى درجات الحذر لكي يصد عن نفسه اية قذيفة يكون منطلقها اليأس من الحياة ...

قال بعضهم :

« كنت جالساً مع المنصور ، فأتي بخارجي كان قد هزم بضعة جيوش للخليفة فأمر المنصور باحضار النطع والسيف ، ليضرب عنقه ثم وجه اليه سيلاً من الشتائم القبيحة .

فقال له الخارجي :

« ما يؤمنك أن أرد عليك وقد يئست من الحياة ، فلا يذهب عنك عارها أبداً . ! ؟ » . فاستحى المنصور منه وأطلق سراحه ...

وهذا أبو العباس الطوسي ، رجل حضر في وقته ، ليعيد للخليفة صوابه الذي ضل في عالم الظنون ، في أمة أضناها الكلل ، وبلغ عندها السيل الزبى . .

قال المنصور لقواده :

« صدق القائل : أجع كلبك يتبعك ! » .

فقال ابو العباس الطوسي :

« يا أمير المؤمنين ، أخاف أن يلوح له رجل برغيف فيتبعه ويدعك . ! »

لوحة متكاملة من الفكر البارع ، وهو في أجلى سموه وشموخه وتصوير حي متحرك في معرض الرأي والنقد الذكي ؛ وهو - إن رفع شعاراً - فلا يحمل إلا صوت الجماهير ، وهي تنذر الطغاة ، بأن ما يعتمدون عليه في إقامة صرحهم ، ليس إلا ملح ذائب لا محال .

ولقد قالوا : « قد يأكل الكلب صاحبه إن لم يشبعه ! » .

فاذا كان كلام الطوسي ، مرسلاً على سبيل الاعتراض ، فانه حكمة اكتملت حتى بلغت من العمر عتياً . . . .

وما هي إلا أيام ، حتى يبدو صاحب الحكمة ، بحاجة الى مثلها

أو أشد فلقد ظن الطوسي ، أن السفر طويل ، وفاته ان الزاد قليل وطفق في نيل الملاحم ، حتى كان في موج كالجبال ، حين دخل أبو حنيفة على المنصور ، وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة .

فقال الطوسي : اليوم أقتله ، فقال :

« يا أبا حنيفة ، إن امير المؤمنين ، يأمرني بقتل رجل لا أدري ما هو ؟ ! !

فقال أبو حنيفة :

« أمير المؤمنين ، يأمر بالحق أو بالباطل ؟ ! » .

قال الطوسي : بالحق .

قال ابو حنيفة : « أنفذ الحق حيث كان !

فكان هذا الرد ، مطرقة ناصحة ، نبهت رجلا كاد يسرف في غروره وطيشه ولقنته درساً عسيراً في الحياء وآداب المجالس ، والتزامها مبدءاً ونهجاً للشرفاء من الناس ، !

ولما ماتت حمادة بنت عيسى ، زوج المنصور ، وقف الناس والمنصور بينهم ، حول حفرتها ، ينتظرون مجيء الجنازة ، وابو دلامة كان فيهم ، فأقبل عليه المنصور فقال : يا أبا دلامة ، ما اعددت لهذه الحفرة - يعني قصيدة في الرثاء - ؟

قال أبو دلامة : « حمادة بنت عيسى » .

فضحك المنصور والقوم . !

وكان جواب أبي دلامة ، واضح السخرية ، عميق المعنى ، إذ أن أبا دلامة كان يفهم ماذا يريد المنصور ، فكان يريد منه قصيدة يرثى بها زوجته ، لكن الرثاء يجب أن يصدر من أعماق وأحاسيس الشاعر ، إذا كان محباً للميت أو لأهله .

أما أن قريب الميت ، هو الذي يطلب من الشاعر ، أن يرثي له قريبه ، فهذه مسألة غير مقبولة البتة ، ولا تستحسن أبداً ، وهي نفسها التي دفعت أبا دلامة لأن يسخر منه بهذا الأسلوب الطريف . . .

ومشهد آخر على مسرح التأريخ العباسي ، ولكنه وثيقـــة حافلة بالفكر العربي التقدمي وقتذاك ، إذ يشير من قريب وبعيد ، إلى فطنة القوم ، وتتبعهم للاحداث بما فيها موقف القوى ، واحصاء النتائج في سوح المعارك . .

قال المنصور لبعض الخوارج ، وقد أتى به اليه أسيراً :

« أخبرني أي أصحابي ، كان أشد إقداماً في مبارزتكم ؟

فقال الخارجي :

« ما أعرف وجوههم مقبلين ، وإنما أعرف أقفاءهم ، فمرهم أن يديروا ظهورهم لأعرفك أشدهم ادباراً » .

وما دمنا مع المنصور ، فلنعرج على معن بن زائدة ، فانه رجل منصف في القول كما هو كريم جواد ، إنه خير من صور سر التلازم بينه والخليفة المنصور ، ومن خلال هذا التصوير ، استطاع هذا الرجل أن يبعث من خلال كلماته ، سهاماً مارقة ، لتستقر في صدر المنصور ، لتبذيره خزائن الأمة على صيـانة ملكه وجبروته ، في كسب المرتزقة قطط الموائد . . .

دخـل معن بن زائدة ، على أبـي جعفر المنصور ، فقـال له ابو جعفر :

« كبرت يا معن ! » .

قال معن : « في طاعتك يا أمير المؤمنين » .

قال المنصور : « وإنك لجلد ! » .

قال معن : « على أعدائك يا أمير المؤمنين » .

قال المنصور : « وإن فيك لبقية » .

قال معن : « هي لك يا أمير المؤمنين » .

قال المنصور : « أي الدولتين أحب اليك أو أبغض ؟ » .

« أدولتنا أم دولة بني أمية ؟ » .

قال معن : « ذلك لك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلي ، وإن زاد برهم على برك ، كانت دولتهم أحب إلي .

قال المنصور « صدقت ! ! » .

ومفخرة أخرى لمعن . . . كان ذلك مع هارون الرشيد ، حين توجه اليه يسأله عن زمانه ، فأجابه بعشر كلمات ، تشكلت فيها وثيقة حكيمة ، جسم فيها مسؤولية قيادة الجماهير ، ومدى ما يمليه عليه الظرف ، من نهج قويم ، وتفكير دائب في مصير الأمة ، إذ يجب أن يكون هو أول جائع في الأمة إذا جاعت ، وآخر من يأكل إذا الأمة شبعت وغنت . . .

قال هارون الرشيد لمعن : « كيف زمانك يا معن ؟ » .

فال معن : يا أمير المؤمنين ، أنت الزمان ، فان صلحت صلح الزمان ، وان فسدت فسد الزمان » .

إن الفئة التي تحيط بقائد الأمه ، تجمعها اليه المصلحة باطار الملق والزيف لا يمكن - بأية حال من الاحوال - أن تكون ممثلة لجماهير الشعب أو حارسة على مصالحه .

وهذه بديهة عرفها العربي ، طيلة مسيرته ، في بناء دولته وحضارته ولذلك كانت نصب عينيه ، وقد كان يحقد عليها ويتربص للانقضاض

عليها ، لأنها هي قوة السلطـان وسر ديمومته وغروره وسلاحه الذي يشهر بوجه ذوي الحقوق . . .

كان اولئك يملأون مجلس الخليفة ، يتسـابقون في الملق واساليب الرذيلة فما أن يدخل أحد ، حتى يلتفون من حوله ، ينهشونه من كل جانب ، كالذئاب الجائعة فيودون به ، إلا من آمن بالكلمة ، سلاحاً لابد من حمله ، كمن آمن بأن صحبة الذئاب توجب جلب الكلاب ! .

دخل شاب من بني هاشم ، على المنصور ، فسأله عن وفاة أبيه ؟

قال الشاب : مرض أبي رضي الله عنه يوم كذا ، ومـات رضي الله تعالى عنه يوم كذا ، وترك رضي الله عنه من المال كـــذا ، ومن الولد كذا ! .

فانتهره الربيع بن يونس وقال :

« بين يدي أمير المؤمنين ، توالي بالدعاء لأبيك ؟ ! ! » .

يريد بذلك ، أنه لا يجوز أن يرحم لأبيه احتراماً للخليفة وهو في مجلسه ، لأن الخليفة أكبر مقاماً من أبيه .

فقال الشاب : « لا ألومك ، لأنك لم تعرف حلاوة الآباء (١) » ! .

فضحك المنصور ضحكاً ما ضحكه في حياته قط ، افتر عن نواجذه

وتتعاقب الأيام ، واذا نحن في مجلس الخليفة المهدي ، ويـــدخل شريك القاضي على المهدي ، والربيع - كعادته - يتربع في مجلس الخليفة ينتظر فريسته ، ولكنها خطرة . . .

فما أن استقر المقام بشريك ، حتى التفت الربيع ، وقال لـــه بصوت يداعب سمع الخليفة المهدي :

« بلغني أنك خنت مال الله ، ومال أمير المؤمنين » !

---

(١) لأن الربيع بن يونس ، كان يغمز في نسبه من أبيه .

تبسم شريك القاضي ، وبكل هدوء وثبات ، قال له :

« لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبك » ! .

رحمك الله يا شريك ، لقد كنت بارعاً في توجيه الضربة . . .

هكذا كان أجدادنا ـ رحمهم الله ـ يقارعون السلطان ، لا يخشون فيه لائمة لائم ، وقد آمنوا بالله ، فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون . . .

لقد صدقوا في مقاومتهم الاستبداد والظلم ، ومن أجل أن يعيشوا والتيجان على الرؤوس ، أطلقوا ألسنتهم في مفارق الدنيا ، دون أن يبحثوا عن زوايا الهروب .

لقد عرفوا الحقيقة ، فاشتروها برقابهم ، وقدسوا الكرامة ، فوضعوا في حسابهم كل تضحية وشقاء ، فبددوا الظلام بنور الدماء الزكية ، التي هدت من بعدها جيلاً ، ما كان في عمره أن يهون عليه شرفه ومستقبله . . .

لقد كان اولئك الأجداد الأوفياء ، ذوي مفخرة وعز ، ليس في بلادهم فحسب ، بل نشروا في كل أقطار الدنيا ، لواء السيادة والمجد بالكلمة التي شهروها أمام كل خصم وجبار . . .

فحين استأذن حاجب بن زرارة على كسرى ، قال له الحاجب :

« من أنت ؟ » .

فقال : « رجل من العرب » .

فأذن له ، فلما وقف بين يديه ، قال له كسرى : « من أنت ؟ » .

قال : « سيد العرب » !

قال كسرى : ألم تقل للحجاب ، أنا رجل منهم ؟ !

قال : « بلى ، ولكني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم ، فلما

وصلت اليه سدتهم » .

فقال كسرى : « زه ، أحشوا فاه دراً ! » .

واليوم ، وهذا الجيل ، حفيد ذلك الجمهور الثائر ، وامتداد لذلك التراث الأصيل الذي عبر السنين دون أن يتصدع ، وهو أمر طبعي ، لأن الأمة العربية ، تزداد بمرور الزمن فتوة وعتواً ، وهي تزداد امانة في حفظ تراثها وتمجيده وتقديسه لأنه لم يبن إلا على أساس من الأصالة والوفاء ، وعلى الصلة الدائمة التي تربط بين الاحساس العربي ، والواقع الذي يحسونه ، فيتفاعلون معه ايجاباً ، تبعاً لمقتضى الحال .

اليوم ، والأمة العربية ، تعيش معركة المصير الواحد ، تعيش معركتها المعاصرة تقاوم الاستيطان والصهيونية والمرتبطين بها أشخاص العمالة والجاسوسية الحاقدة وفينا القدرات والطاقات والرجال الاشداء الذين عاهدوا الله والتأريخ على النضال فى خدمة الجماهير المتطلعة إلى الغد المجيد ، ولغسل العار في فلسطين ، والذي ما كان للأمة العربية الكريمة أن ترتضيه أبداً . . .

« وما استعصى على قوم منال إذا الاقدام كان لهم ركابا »

القسم الأول

الفصل الثالث

ألوان من الفن السياسي

ولم يكن التأريخ العربي عقيماً ، عن انتاج الصلحاء من الملوك والامراء ، كانوا مراكز امينة لثقة الجماهير ، ودعاة حق وعدل وانصاف حتى عرف عنهم اكثر من موقف جليل ، في مجابهة الطعن المأجور ، ومحاولات العبث بمقدرات الآخرين من أبناء الأمة .

وقد يذكرنا المقام هنا ، بعمر بن الخطاب ، حين لقي أبا هريرة فقال له :

« ألا تعمل ؟ » .

قال ابو هريرة : « لا أريد العمل » .

قال عمر : « قد طلب العمل من هو خير منك ، يوسف عليه الصلاة والسلام .

قال : « اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ علم » .

هذا شعور محترم يصدر عن مسؤول في الأمة ، إنه يحث على العمل

بعيداً عن الاتكالية والتسيب ، وأن ليس في الاستجابة لمتطلبات الحياة وظروفها عيباً يذكر بقدر ما تعتبر البطالة المقصودة ، انهزامية بينة من واقع الحياة الصريح ، وشرف العمل الذي يحفظ عز الدولة وتقدمها الدائب

وفي زمن علي بن أبي طالب (ع) ، كان اليهود ، يعملون بجد ومثابرة ، ولكن ليس العمل النجيب الذي نحن عرض حديثه ، بل كانوا يجهدون تفكيرهم دوماً بخلق السبل الغريبة للتنكيل بالعرب ، ومحاولة إحداث الثغرات بين صفوفهم الرصينة ، وهم لا ينفكون يستعملون ألسنتهم ، يحاولون عبثاً تعجيز المسؤلين ، ولكن أنى يكون لهم ذلك فها هو يهودي يقول لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

« ما دفنتم نبيكم ، حتى قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير ! »

فيجيبه الامام وهو العربي الخطيب البليغ ، الذي عرفته أمة العرب مجيباً عارفاً لا ينازع :

« أنتم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم إجعل لنا إلهاً » !

ما أروعه من رد !

ما أسرعه من سهم ماض سديد ! دفاعاً عن العروبة ، عن كرامة الامة التي يحاول هذا اليهودي الخبيث أن ينال منها باسلوب نتن رذيل وهي كما تعلم قضية خطيره ، تلك التي فتحها أمام الامام ، إذ أن مشكلة الخلافة كانت يومذاك تشكل قضية العصر ، التي تقف على عود كبريت . .

وكان عمرو بن العاص ، يفهم هذه الطائفة من المخربين ، ويعلم جيداً ما كانوا ينهجونه من اسلوب خبيث لتغيير صور المسؤولين في أعين الناس .

فقد حاول نفر اغراء رجل بالمخاطرة ، بأن يقطع على عمرو بن

العاص خطبته ليقول له : « أيها الأمير ، من أمك ؟ » . ففعل .

فقال له عمرو : « النابغة بنت عبد الله ، اصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فان كانوا جعلوا لك شيئاً فخذه . . ! ! » .

« فان كانوا جعلوا لك شيئاً ! » . . .

جواب ذكي ، ومعالجة سليمة ناجعة لمثل هذا الموقف الطاعن ... إفهام ودرس بليغ ، ألقاه عمرو بن العاص ضمن خطبته ، ليتعظ به الآخرون .

وكان زياد حاذقاً ، لم يتعود ترك الحبل على الغارب ، ولم يعط يوماً ، الفرصة اصائديها ، لأنه اسلوب يدل على الغباء ، اكثر من دلالته على الفطنة والذكاء . . .

فعندما وشي واش بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد ، فقال له : إنه هجاك ، قاطعه زياد بقوله : أأجمع بينك وبينه ؟ قال : نعم .

فبعث زياد الى ابن همام فأتي به ، وأدخل الرجل بيتاً .

فقال زياد : يا ابن همام ، بلغني إنك هجوتني .

قال : كلا ، أصلحك الله ، مافعلت ولا أنت لذلك بأهل .

قال زياد : إن هذا الرجل أخبرني وأخرج الرجل .

فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم اقبل على الرجل فقال :

أنت امرؤ إما ائتمنتك خالياً فخنت وإما قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم

فأعجب زياد بجوابه ، وأقصى الواشي ، ولم يقبل منه ! . ، .

هذا الرجل ، سوف لا يعود لمثلها ، فهو لا يزال يتذكر برشاد ، موقفه العسير أمام الخصم والحكم ، وتلك لعمري ، خطة الحكم الرشيد

لأنها مدرسة لتهذيب الأخلاق والقضاء على عناصر الشغب ، والوصولية الساقطة .

* * *

واشرقت الشمس ذات يوم ، وعمر بن عبد العزيز ، يعلو منبر الخلافة ، وكأنه جاء ليفتح على العالمين ، صفحة أخرى من السياسة والعمل ، واذا الفرق بعيد وعظيم بين هذا الرجل ، وسلفه من الخلفاء والولاة .

لقد كان طرازاً جديداً في كل شيء ، جديداً إذ لم يجعل من حوله اشواكاً يلتحف بها ، فيذيق الشعب قساوة الجبابرة الشداد . . .

وهكذا قدر للخير ، أن يكون خيراً للجميع ، دون قمع أو سفك دماء . . .

وكان لابد للصدق ان يهزم النفاق والملق . . وكان للاستقامة مكان كبير ضاع فيه الزيف والقناع . . .

فتنفس الناس الصعداء ، وتذوقوا حلاة العطف والرعاية والرحمة تحت ظل رجل طار به المجد الى السماء العالية ، لا بجبروته او غرور المنصب ، بل كان سلمه التواضع للناس ، وهذا سبيل من يرى الله بين يديه ، أمامه وخلفه . . . وفوقه . . .

قدم عليه يوماً ، وفد من المدينة ، فتقدم من بينهم غلام صغير ليتحدث باسمهم ، ويعرض قضيتهم ، فتملاه امير المؤمنين ، وقال له :

« يابني ، دع القول لمن هو أسن منك » .

فأجابه الغلام على الفور :

« يا أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه ، ولو كان الأمر

بالسن لكان في المسلمين من هو أحق بهذا الأمر منك ! »
ويبتسم عمر ، ويتهلل وجهه ، ويهتف بالغلام :
« صدقت . . صدقت . . عظني يا بني ! » .

ترى ، أي تعبير ، يتم فيه وصف هذه الصورة ، . إنها صورة القديس الورع الذي آمن بأن سياسة الناس ، هي ضمان حقوقهم ، ومناصرتهم على أنهم أولو الأمر وهم ذوو الكلمة ، أصحاب الحال . . .

إنه مسؤول ، يسهر على أموال الرعية ، وأن يحفظ أرواح الناس وكراماتهم وألا يظلم فيؤخذ بظلمه ، ويلقى الله بوجه أسود أثيم ، فكان لهم أباً وسع صدره لابنائه ، حتى ضاع بينهم ، وانهدمت اركان البلاط ليستوي عندها قصر الامارة بمنازل الفقراء الكادحين ، ويخرج في الليالي المظلمات ، يتفقد رعيته ، يسأل عن احوالهم .

خرج ليلة ومعه حارسه ، فدخل المسجد ، فمر في الظلمة برجل نائم فعثر به فرفع الرجل رأسه اليه وقال : « أمجنون أنت ؟ ! » .

قال عمر : لا !

فهم الحارس بضرب الرجل ، فقال له عمر :
« صه ، إنما سألني : أمجنون انت ؟ فقلت : لا .

إنه الخلق المتكامل ، الذي يفرض على خليفة الأمة ، ليكون مهوى افئدة النـاس ليحسوا ـ وهم بجانبه ـ بطمأنينة النفس ، وجناح الرحمة ، وحنان الاب ، وغيره الأخ . . .

وما كان الأمر مقتصراً عليه فحسب ، بل كان عمر بن عبد العزيز يسعى دوماً لجعل ولاته المنتشرين في ربوع الدولة ، يشعرون بهذه الفكرة ، وليكونوا نظائر أوفياء لمن بيده الأمر من بعد الله .

كتب اليه احد ولاته ، يطلب الاذن بمزيد من الشموع ، التي

كانت دار الامارة تضاء بها ، ويضاء بها للأمير ، وهو في طريقه الى المسجد ، لصلاة العشاء والفجر . . .

فأجابه عمر بقوله :

« لقد عهدتك يا ابن حزم ، قبل أن تكون والياً ، تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح . . . ولعمري ، لأنت يومئذ خير منك اليوم ، ولقد كان في فتائل اهلك ما يغنيك ! » .

حساب دقيق ، لحفظ اموال المسلمين من الضياع ، وتقشف من اجل الصالح العام لأن التهاون في صغائر الأمور ، فاتحة للاسراف والتبذير ، في اخطر الامور واكبرها . . .

وكتب الى عمر بن عبد العزيز ، بعض عماله ، يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه عمر : « حصنها بالعدل ، ونقها طرقها من الظلم ! » .

هكذا حكم هذا الرجل ، حصن دولته بالعدل ، ووضع بين يديه صورة يوم الدين التي كانت توحي اليه ، بكل صالح ويقين ، فيبلغ بها أسمى الدرجات ، ليضرب للناس مثلاً عالية في الاخلاص والطهر ، سالكاً في عمله ، الطبع الرزين الهادىء ، لا يفوت اللحظات إلا بين عمل او عظة يتحف بها الناس بين الحين والحين . . .

فحين اقتحم مجلس الحكم ذات يوم ، رجل من عامة الناس . رافعاً عقيرته في وجه الخليفة عمر بن عبد العزيز ، بكلمات تثير غيظ الحليم ، ما زاد امير المؤمنين على ان قال للرجل :

« لعلك اردت ان يستفزني الشيطان ، بعزة السلطان ، فأنال منك اليوم في الدنيا ما تتقاضاه مني غداً عند الله . . ولكن لا . . قم عفا الله عنك » !

القسم الثاني

لكل حديث حادث ...

قال خالد بن الوليد لأهل الحيرة :

« أخرجوا إليّ رجلاً من عقلائكم » .

فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني وهو الذي بنى القصر ، وهو يومئذ ، ابن خمسين وثلثمائة سنة .

فقال له خالد : من أين أقصى أثرك ؟

قال : من صلب أبي !

قال خالد : فمن أين خرجت ؟

قال : من بطن امي !

قال خالد : فعلام انت ؟

قال : على الأرض !

قال خالد : ففيم انت ؟

قال : في ثيابي !

قال خالد : ماسنّك ؟

قال : عظم !

قال خالد : أتعقل لاعقلت ؟

قال : إي والله وأقيد !

قال خالد : إبن كم أنت ؟

قال : إبن رجل واحد !

قال خالد : كم أتى عليك من الدهر ؟

قال : لو أتى عليّ شيء لقتلني !

قال خالد : ماتزيدني مسألتك إلا غماً !

قال : ماأجبتك إلا عن مسألتك !

قال خالد : أعرب أنتم أم نبط ؟

قال : عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا !

قال خالد : فحرب أنتم أم سلم ؟

قال : سلم !

قال خالد : فما بال هذه الحصون ؟

قال : بنيناها للسفيه حتى يجيء الحليم فينهاه !

قال خالد : كم أتت عليك سنة ؟

قال : خمسون وثلثمائة !

هذه المحاورة الطريفة ، موسوعة لغوية وأدبيـة بليغة ، كان هـذا العربي الأصيل ، يعني من ورائهـا الدفاع عن اللسان العربي القويم ، واستعمال العبارة في أطارها الصحيح ، كي تكون هناك ، التزامات وعهود ، بين اللغة والمجتمع ، وان يكون الجواب ، تابعاً السؤال لاينفك عنه ...

فهي عملية تصحيح اكثر منها عملية حوار ، وهي مراجعة للمفاهيم اللغوية السليمة .

وتعال معي الآن ، إلى مجلس فيه معاوية ، حيث قدم عليه ، عقيل ابن أبي طالب ، فأكرمه وقربه وقضى دينه ، ثم قال له فى بعض الأيام :

« ياعقيل ، أنا خير لك من أخيك علي ! » .

قال عقيل :

« صدقت . . .

أخي آثر دينه على دنياه ، وانت آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لي من اخي ، واخي خير لنفسه منك لنفسك ! » .

حقيقة لاترضي الجدل ، إن علياً بن ابي طالب ، لم يكن خيراً من معاوية لاخيه عقيل ، لأن عقيل يبحث عن اسبابه ، ليس بين يديه سائل او مسؤول . .

اما بين يدي علي بن ابي طالب ، فأموال طائلة ، ولكنها لذوي الحقوق من المسلمين . . . واما معاوية ، فعنده خزائن الله ، وبيده كل قرار ، فهو كريم جواد ولكن بسلب اموال الناس ، وتبذيرها على الآخرين بمن ليس لهم فيها ناقة او جمل ، لمجرد حماية حكمه ، وتصفيه خصومه ...

ولقـــد كان عقيل ، صريحاً دون مخاتلة ، فى تصويره للقضية ، فرش رأيه على بساط معاوية دون زيف ، وأعلمه بأنه خير له من أخيه في الدنيا ، ولكنه ليس كذلك حين يأتي حديث يوم الدين . . .

وابن عباس ، هو الآخر من بني هاشم ، كأهل بيته في إعلانه رأيه ، وحسم الامور فى أوكارها قبل أن تطير .

قال معاوية لابن عباس :

« أنتم يابني هاشم ، تصابون في أبصاركم . » !

فقال ابن عباس : « وأنتم يابني أمية ، تصابون في بصائركم . » !

وقال معاوية : « ماأبين الشبق في رجالكم ! »

قال ابن عباس : « هو في نسائكم أبين . ! » . . .

وهذه مزحة في مجلس معاوية بن أبي سفيان ، فقـد كان معاوية معروفاً عنه بضخامة عجيزته ، ولما دخل خريم الناعم على معاوية ، نظر

معاوية إلى ساقيه !

فقال : أي ساقين ! لو أنهما على جارية !

فقا له خريم : في مثل عجيزتك ياأمير المؤمنين !

قال معاوية : واحدة بأخرى ، والبادي أظلم ! . . .

ومن ملح المجالس ، مارواه المدائني ، قال : كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي وهو على الكوفة ، جدي يوضع على مائدته بعد الطعام ، لايمسه هو ولا غيره . . .

فقدم أعرابي يوماً ، فأكل لحمه وتعرق عظامه !..

فقال المغيرة : ياهذا ، أتطالب هذا البائس بزحل (الثأر) ؟... هل نطحتك أمه ؟!

قال الاعرابي : وأبيك إنك لشفيق عليه ! هل ارضعتك امه ؟!

ويبدو ان مجلس المغيرة ، كان دوماً حافلا بطريف المواقف ، وجمال الرد المسكت .

قعد رجل على مائدة المغيرة ، وكان منهوماً ، وجعل ينهش ويتعرق ..

فقال المغيرة : ناولوه سكيناً .

فقال الرجل : كل امرىء سكينه في رأسه . . .

وهذا موقف في مناسبة اخرى ، يشد انتباهنا بقوة ، ويدل بجلاء على ان حدثاً جليلا كهذا ، وببالغ تمامه ، لايتم لولا الاعداد السليم ، الذي فرضته ظروف العربي على اللسان الحر ، الذي يهتـدي بالثقة ، وينطلق بالايمان ، لايفهم التفضيل ولا يألف الحمقى . . .

وقف معاويـة بن مروان ، وكان من الحمقى ، على باب طحان ، فرأى حماراً يدور بالرحي وفي عنقه جلجل ، فقال معاوية للطحان :

« لم جعلت الجلجل في عنق الحمار ؟! » .

قال الطحان : ربما أدركتني سآمة او نعاس ، فاذا لم اسمع صوت الجلجل علمت انه وقف ، فصحت به ، فانبعث . » !

قال مروان : افرأيت ان وقف وحرك رأسه بالجلجل هكذا .. وهكذا .. ؟ ! »

فقال له الطحان : « ومن لي بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير !؟ » .

جواب رائع ، كان غزيراً بالسهام ، وعميقاً في دلالته واهدافه ، فهو تسوية عادلة ، تدفع عندها ضريبة الحمق والضلال .

والآن مع قوة النبض ، تلك التي تمتـــد وتنبسط ، حتى يرافقها الشموخ ... والصراحة ، يتحول بها الخصم حكماً ، والحكم خصماً ...

لقد تسامت هذه القوة ، حتى كبلت الظالم من يديه ، واطاحت بصلف الطاغي فبددته ، فكان درساً حاذقاً امام المعجزة ...

إتهم اعرابي بأنه اطلق لسانه في احد المجالس ، فجيء به إلى السلطان ، يبدو انه كان عارفاً بما يضمره له اتباع السلطان من التهم التي لم يرتكبها كي يسجنوه تخلصاً منه ... فاعد كتاباً روى فيه قصته ، يدرأ عن نفسه طائفة التهم واستعطف به السلطان .

حتى اذا مادخل على السلطان في مجلس حكمه ، اخرج من جيبه الكتاب وقدمه اليه وهو يقول :

« هاؤم إقرءوا كتابيه ... » .

فأنكر السلطان امره ، وقال :

« إنما يقال هذا يوم القيامة ، وليس هنا .. ! »

قال الرجل :

« هذا يامولاي ، شر من يوم القيامة ، فهناك يؤتى بحسناتي وسيئاتي معاً ، اما رجالك ، فقد جاءوا بسيئاتي وتركوا حسناتي .. ! » ..

فأعجب السلطان بكلامه .. وعفا عنه .. !

التفاتة ذكية من معلم فذ ...

قال مسلمة بن عبد الملك : « ما شيء يؤتاه العبد بعد الايمان بالله أحب إلي من جواب حاضر ، فان الجواب إذا تعقب لم يسك شيئاً » .

كان بشار بن برد ، بين يدي الخليفة المهدي ، ينشده شعراً ـ وكما تعلمون ـ أن بشار كان أعمى ، فدخل يزيد بن منصور الحميري ، خال المهدي ـ وكانت فيه غفلة ، فلما فرغ بشار من قصيدته ، أقبل عليه يزيد يسأله :

« ما صناعتك يا شيخ ؟ ! » .

قال بشار : أثقب اللؤلؤ ! ! !

فلم يستطيع المهدي أن يمتنع من الضحك ، وراح يوجه السؤال إلى بشار :

« أتهزأ بخالي ! ؟ » .

فقال بشار :

« يا أمير المؤمنين ، فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً أعمى ، ينشد شعراً فيسأله عن صناعته ! ؟ .

لقد كانت ضربة بشار قاسية ، وكأنه لا يفعل هذا إلا من أجل قولهم :

« إذا ضربت فأوجع ، لأن الملامة واحدة » .

ولعل من الطريف . أن ننتقل من مجلس المهدي ، لنقضي وقتاً ممتعاً في مجلس يحضره المأمون .

وقد لا يفوتنا الحوار بين المأمون واحدهم كان يدعي النبوة . . . فقد طالبوه بمعجزة ، فقال :

« أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب ! » .

قالوا : رضينا . .

فأخرج حصاة وطرحها في الماء ، فذابت . . .

فقالوا : هذه حيلة ، ولكن نعطيك حصاة من عندنا واجعلها تذوب

فقال :

« لستم أجل من فرعون ، ولا أنا اعظم من موسى ، لم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى اعطيك عصى من عندي تجعلها ثعباناً ! .

فضحك المأمون وأجازه . . .

حكاية طريفة ، ولكن حين يجد الجد ، ويتوارى الهزل ، فان مجلس المأمون يبدو سجلاً حافلاً بالمفاجئات الأدبية النادرة .

فقد أقبل أحد الأدباء على المأمون ، وسأله حاجة ، فرده رداً غير جميل فقال له الأديب :

« إني ادخر لك شكراً وثناءاً حاراً ، ومدحاً بكراً ياامير المؤمنين » .

فأجاب المأمون :

« وهل مثلي ، يحتاج إلى مثل شكرك » .

فقال الأديب :

« أيها الأمير » .

لا تحرك لسانك لتعجل به . . .

فلو كان يستغني عن الشكر مالك لكثرة مال أو علو مكان

لما ندب الله العباد لشكره وقال (اشكروني أيها الثقلان)

طريق معبدة سلكها الأديب ، مصوراً بها فضل الأديب على غيره من زاوية تقييمه للأمور ، ومقارنتها مقارنة حكيمة صائبة ، وقد عرج

بأبيات شعره على نقطة ضعف لمسها في الخليفة ، إذ ظن أنه ـ وهو بهذه المكانة ـ لا يحتاج الى الآخرين ، بقدر ما يحتاجه الآخرون ، وهو امر غير وارد ، ومردود ، فقد يستطيع الضعيف ، مالا يستطيعه القوي . . .

ومن مجلس في قصر عبد الله بن طاهر في خراسان ، اليك ـ عزيزي القارىء ـ هذه الصورة الطريفة ، التي جمعت الشاعر أبا العميثل ، الى الشاعر أبي تمام الطائي .

إن أبا العميثل ، سمع ابا تمام ، ينشد إحدى قصائده ، في قصر عبد الله بن طاهر ، في خراسان ، ومطلعها :

« هن عوادي يوسف وصواحبه   فعزماً فقد ما أدرك النجح طالبه »

فقال ابو العميثل :

« لم لا تقول ما يفهم ؟ ! »

فأجابه ابو تمام على الفور :

« ولم لا تفهم ما يقال ؟ ! »

رد مسكت ، وهو الضربة القاضية ، التي ايقظت ابا العميثل من بعد سبات طويل ، ولقد كان مغفلاً ، حين ظن ان الجولة ستكون في جانبه وهو يصطدم بأبي تمام الشاعر الحكيم المعروف ، والمتكلم البليغ الفذ...

وتأتي ضربة أخرى شديدة ، ولكن هذه المرة ، للكندي الفيلسوف الذي حاول ان يجد في ابي تمام ، اكلة شهية يداعب بها اسنانه . . .

امتدح ابو تمام ، بقصيدة سينية ، احمد بن المعتصم ، فلما انتهى منها الى قوله :

« اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم احنف في ذكاء اياس » (١)

قال له الكندي الفيلسوف وكان حاضراً :

« الامير فوق ما وصفت ! »

فأطرق ابو تمام قليلاً ، ثم رفع رأسه وانشد :

« لا تنكروا ضربي له من دونه   مثلاً شروداً في الندى والبأس » (٢)

« فالله قد ضرب الاقل لنوره   مثلاً من المشكاة والنبراس »

فعجبوا من سرعة فطنته . . .

سرعة في الفطنة ، سرعة في التخلص والطعن ، كانت آية في الكمال والجلال ، وتلك لعمري ، مواقف واضحة الهدف ، نبيلة المناسبة ، وشموع ترقص على الطريق تهتدي بها الاجيال معه ، ومن بعده . . .

---

(١) عمرو : هو عمرو بن معد يكرب الفارسي . . .

احنف : هو احنف بن قيس ، زعيم تميم البصرة في العصر الاموي ، معروف بحلمه . . .

اياس : هو اياس بن معاوية قاضي البصرة حينئذ ، معروف بذكائه .

(٢) يشير الى الآية الكريمة « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . . . الخ من سورة النور (٣٥) . . .



نافذة على الطريق...

هذه مجموعة من آثار الأجداد، حفظها لنا التأريخ بأمانة، ليضعها بين أيدينا اليوم، باقة عطرة من زهور البيان، ومواقف اللسان القويم ومدى صراحته في التعبير عن المكنونات الانسانية.

مجموعة نادره من الأجوبة المسكتة، التي كانت تولد بين الحين والآخر، في مجالس الناس العامة، ومجالسهم الخاصة، وفي الطرقات او اللقاءات العابرة، وفي جلسات السمر والمنادمة، وفي حلقات الدرس والمناقشة.

مثل عليا، ملكت النفوس، وشيطان جمع بين المتعة والانتقام وعبث قائم على فن المناورة...

فمن تلك السنين الغابرة، من تلك الأيام الخصبة... هذه النفائس من بيانهم وروائع بديهتهم، وحسن تخلصهم وفصاحتهم...

قيل لعلي بن أبي طالب:

«كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟!»

فقال:

«كما يرزقهم على كثرة عددهم!».

ومرة اخرى ، قيل لعلي بن أبي طالب :

« إذا جالت الخيل ، فأين نطلبك ؟ ! »

قال :

« حيث تركتموني . . ! » .

والأن ، لنكن في مجلس القضـــاء ، حيث المحـاورة الجادة بين ابي الاسود الدؤلي وامرأته .

جرى بين ابي الاسود الدؤلي وامرأته كلام في ابن كان لها منه واراد اخذه منها ، فصار الى زياد ، والى البصرة ، فقالت المرأة :

« أصلح الله الامير ، هذا ابني ، كان بطني وعاءه ، وحجري فناءه وثديي سقاءه ، اكلؤه إذا نام ، واحفظه اذا قام ، فلم ازل كذلك سبعة أعوام ، فحين أملت نفعه ، ورجوت دفعه ، اراد اخذه مني قهراً » .

فقال ابو الاسود :

« اصلحك الله ، انا حملته قبل ان تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه » . . .

فقالت المرأة :

« صدق ايها الامير ، لكن حمله خفاً ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرهاً » .

فقال زياد :

« اردد على المرأة ولدها ، فهي احق به منك ، ودعني من سجعك »

* * *

وهذا حديث عن بعض رجال الحديث .

اجتمع نصراني مع احد رجال الحديث في سفينة ، فصب النصراني

خمراً من زق كان معه وشرب ، ثم صب وناول المحدث فأخذها دون تفكير ولا مبالاة .

فقال النصراني :

« جعلت فداك ، إنما هي خمر ! » .

قال المحدث :

« من أين علمت أنها خمر ؟ ! » .

قال النصراني :

« اشتراها غلامي من يهودي » وحلف أنها خمر . .

فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني :

« يا أحمق ، نحن أصحاب الحديث ، نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون ، أفنصدق نصرانياً عن غلامه عن يهودي ! ؟ والله ما شربتها إلا لضعف الاسناد ! . » .

ترى ما رأيك عزيزنا القارىء ، في هذا الاسناد ، هل كان مرفوضاً حقاً كما رآه هذا التقي الورع ؟ !

لنتركه ونشوته ، يشرب ما يشاء ، حيث لنا عودة إلى القضاء . .

قيل لعبيدالله بن الحسن العنبري :

« أتجيز شهادة رجل عفيف تقي أحمق ؟ ! » .

قال : لا ، وساريكم . . .

« ادعوا لي أبا مردود حاجبي ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب ! ! !

فقال : أترونني كنت مجيزاً شهادة مثل هذا ؟ !

حلاوة ، تلك التي نتذوقها في طريقة عبيدالله بن الحسن العنبري ،

لأن ما خرج به المسألة ، كان مقبولا لا لبس فيه . . . تماماً كما فعل من أقنع أحمق في مسألة حيث :

سأل رجل عمر بن قيس ، عن الحصاة من حصى المسجد ، يجدها الانسان في ثوبه أو خفه أو جبهته ، فقال له :

« إرم بها . » .

قال الرجل :

« زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد » !

قال :

« دعها تصيح حتى ينشق حلقها ! » .

قال الرجل :

« أولها حلق ؟ ! » .

قال :

« فمن أين تصيح إذاً ؟ ! » .

كان السؤال كافياً دون الاجابة ، ولكن ما بالك برجل قتل رجلاً وتزوج ابنته ، سيكون الحديث اكثر متعة . . .

فعن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده ، قال :

« شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلت رجلاً وضربني ضربة ، فتزوجت بابنته بعده .

. . . فكانت تقول :

« لا عدمت رجلاً وشحك هـذا الوشاح » ٠٠ تعني آثـار الجرح بسبب الضربة ٠٠٠ فأقول لها :

« لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار ! » .

وللشعراء حكايات طريفة ، منها ما قاله خالد بن صفوان للفرزدق

- وكان يمازحه - .

« مـا أنت يا أبا فراس ، بالذي لمـا رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن » ! (١) .

قال الفرزدق :

« ولا انت يا ابا صفوان ، بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها : « يا ابت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين » (٢) .

ومن اخبار الشعبي ، وشريح القـاضي ، قال الشعبي : حضرت شريحاً ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها ، فارسلت عينيها فبكت فقلت :

« يا ابا امية ، ما اظنها إلا مظلومة ! » .

فقال شريح :

« يا شعبي ، إن أخوة يوسف جاءوا اباهم عشية يبكون ! » (٣)

ودخل الشعبي يوماً الحمام ، فوجد رجلاً بارز العورة ، فغمض عينيه فقال له الرجل :

« منذ كم عميت يا شعبي ؟ ! » .

قال الشعبي :

« منذ هتك الله سترك ! » (٤) .

---

(١) من سورة يوسف الآية رقم ٣١ بادماج .

(٢) من سورة القصص الآية رقم ٢٦ بادماج .

(٣) من سورة يوسف الآية رقم ١٦ بادماج .

(٤) كذا في « المخلاة ص ٣٣١ » وجاء في « المستطرف للابشيهي ص ٥٨ » : دخل مجنون الطاق يوماً الى الحمـام . وكان بغير مئزر ، فرآه ابو حنيفة رضي الله عنه - وكان في الحمام - فغمض عينيه ، فقال=

وهذا جواب يقوله الرجال :

مات لعلي بن الحسين بن ابي طالب ، رضوان الله عليهم ، ولد فلم يحزن ولم يجزع عليه ، فقال له احدهم :

« يا علي ، ايموت ولدك وفلذة كبدك ، واملك في الحياة ، وظهيرك فيها ، ولم تأبه لموته ولم تجزع ! ؟ » .

فاجاب علي رضي الله عنه :

« نعم ، لأنه امر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره ، وفي هذا تسليم لقضاء الله عز وجل » .

ومشهد بين جاريتين ، تصرع احداهما الأخرى بدليل لا حجة بعده .. فقد عرض على رجل جاريتان ، بكر وثيب ، فاختار البكر ، فقالت الثيب :

« ما بيني وبينها إلا يوم ! » .

فقالت البكر :

« وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

فاشتراها ....

ومر ببرقة بن مصقلة ، رجل زاهد غليظ الرقبة ، فقال :

« هذا رجل زاهد ، والعلامات فيه بخلاف ذلك » .

فقال له الرجل :

« كلمه بذلك اصلحك الله لئلا تكون غيبة ! » .

فقال :

« كلمه انت حتى تكون نميمة ! » .

وهذا لقاء طريف جمع الحجاج بن يوسف الثقفي ، إلى اعرابي

= له المجنون : متى اعماك الله ؟ قال : حين هتك الله سترك » .

ذكي الخاطرة ، سريع الفطنة ، أنقذته كلمة ، من اجود مـا صاغتها قريحة العربي المحنك ...

خرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على اعرابي يرعى إبلاً ، فقال له :

« يا اعرابي ، كيف رأيت سيرة اميركم الحجاج ؟ »

قال له الأعرابي :

« غشوم ظلوم ، لا حياه الله » .

قال الحجاج :

« فلم لاشكوتموه الى اميرالمؤمنين عبدالملك ؟ » .

قال له الاعرابي :

« فأظلم واغشم ! » .

فبينما هو كذلك ، إذ احاطت به الخيل ، فاومأ الحجاج إلى الأعرابي ، فاخذ وحمل ، فلما صار معهم . قال :

« من هذا ؟ » قالوا له : « الحجاج » !

فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ثم ناداه :

« يا حجاج ... » !

قال الحجاج :

« ماذا تريد يا اعرابي ؟ » .

قال الاعرابي :

« السر الذي بيني وبينك ، احب ان يكون مكتوماً ! » .

فضحك الحجاج وامر بتخلية سبيله ...

وكان مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، فحل بني امية وفارسها ، ووالي حروبها قيل : إنه جلس يوماً ليقضي بين الناس بمصر ، فكلمته

امرأة ، فلم يقبل عليها فقالت : ما رأيت اقل حياء من هذا قط ! .
فكشف عن ساقه ، فاذا فيها اثر تسع طعنات ، فقال لها :
« هل ترين اثر هذا الطعن ؟ » .. والله لو اخرت رجلي قيد شبر ما اصابتني واحدة منهن ، وما منعني من تأخيرها إلا الحياء ! .
ولما انشد ابن الرقاع في حضرة سليمان بن عبدالملك قوله في الخمرة :

كميت إذا شجت وفي الكاس وردة
لها في عظام الشاربين دبيب
تريك القذى من دونها وهي دونه
لوجه اخيها في الاناء قطوب

فقال سليمان :
« شربتها ورب الكعبة ! » .
فقال :
« والله يا اميرالمؤمنين ، لئن رابك وصفي لها ، لقد رابني معرفتك لها اكثر » .
وقلما تبلغ صراحة المرأة ذروتها ، حين تخاطب الرجال في امور لا يستطيع الرجال انفسهم الخوض بها ، كما كان من امرأة رفعت زوجها إلى عدي بن أرطأة القاضي بكونه قليل الجماع ، فقال القاضي:
« إني لاستحيي للمرأة ان تذكر مثل هذا !
فقالت :
« ولم لا ارغب ايها القاضي فيما رغبت فيه امك ، فلعل الله يرزقني ولداً صالحاً مثلك ! » .
وجاء فقير بقمح يطحنه ، فقال للطحان : إن علي سلفاً كثيراً

فترفق ، فابى .

فقال الفقير :

« لئن لم تطحنه ، دعوت الليلة عليك فتهلك دوابك ! »

قال له الطحان :

« ودعاؤك مستجاب ؟ » .

قال : نعم .

قال الطحان :

« فادع الله ان يجعل قمحك دقيقاً ! ؟ » .

وقال رجل لأحد القضاة :

« لقد تضافر علي خصومي ، وصاروا يداً واحدة » .

فقال القاضي :

« يدالله فوق ايديهم » .

فقال الرجل :

« إن لهم مكراً » .

فقال القاضي :

« ولا يحيق المكر السيء إلا باهله » .

قال الرجل :

« إنهم فئة كثيرة » .

فقال القاضي :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

وقد روي أن رجلاً جلس في مناظره ، فاستدل عليه الخصم بدلالة صحيحة ، فكان جوابه عنها ان قال :

« إن هذه دلالة فاسدة ، ووجه فسادها ، ان شيخي لم يذكرها ،

وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه » .

فامسك عنه المستدل تعجباً وقال : لقد افحمني بجهله .. ! .

وعين احد الولاة اعرابياً على عمل له ، فاختلس مبلغاً كبيراً من المال فعزله الوالي ، وبعث في طلبه ، فلما دخل عليه قال له :

« يا عدوالله ، اكلت مال الله ! » .

قال الاعرابي :

« فاي مال آكل إذا لم آكل مال الله ! لقد راودت إبليس أن يعطيني فلساً واحداً فما فعل ...

فضحك منه الوالي ، وخلى سبيله ...

ودعا بعضهم ضريراً إلى داره ، فلما رفع الطعام من بين يديه ، واحضر الفاكهة والحلوى وغسلا ايديهما ، اراد الضرير الانصراف ، فقال له صاحب الدار :

« إقرأ لنا شيئاً من القرآن ؟ » .

فقال :

« والله ما حفظت من القرآن غير الفاتحة وربما غلطت فيها » .

قال :

« اسمعنا شيئاً من الحديث ؟ » .

فقال :

« ما حفظت منه شيئاً ! » .

قال :

« فلعلك تسمعنا بعض اشعار العرب ؟ ! » .

فقال :

« لم أرو من الشعر بيتاً » !

قال الرجل :

« عجباً ، يقولون إن العميان صناديق العلم ! » .

فقال الاعمى :

« ما هذا من العجب ، اما رأيت صندوقاً فارغاً ؟ ! » .

وكان المهدي قد اهـدر دم رجل من أهل الكوفة ، كان يسعى في فساد دولته ، وجعل لمن دله عليه ، أو جـاءه به مائة الف درهم ، فاقام الرجل حيناً متوارياً ، ثم أنه ظهر بمدينة السلام ، فكان ظاهراً كغائب ، خائفاً مترقباً .

فبينما هو يمشي في بعض نواحيهـا ، إذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأهوى إلى مجامع ثوبه وقال :

« هذا بغية اميرالمؤمنين » .

فأمكن الرجل من قياده ، ونظر إلى الموت امامه ... فبينما هو على هذه الحالة إذ سمع وقع حوافر من وراء ظهره ، فالتفت ، فاذا معن ابن زائدة ، فقال الرجل :

« يا ابا الوليد اجرني أجارك الله ... » .

فوقف معن وقال للرجل الذي تعلق به :

« ما شأنك ؟ » .

قال الرجل :

« بغية اميرالمؤمنين ، الذي اهدر دمه ، واعطى لمن دل عليه مائة الف » .

فالتفت معن إلى غلام كان يرافقه وقال :

« يا غلام ، انزل عن دابتك واحمل أخانا .. ! » .

فصاح الرجل :

« يا معشر الناس ، يحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين ! ؟ »
قال له معن :

« إذهب فاخبره أنه عندي . . » .

فانطلق الرجل إلى باب أمير المؤمنين ، فأخبر الحاجب ، فدخل إلى المهدي فأخبره فأمر بحبس الرجل ، ووجه الى معن من يحضر به فأتته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه ، وقربت اليه دابته ، فدعا أهل بيته ومواليه فقال لهم :

« لا يخلصن الى هذا الرجل وفيكم عين تطرف » .

ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدي ، فلم يرد عليه . فقال :

« يامعن ، أتجير علي ؟ ! »

قال معن :

« نعم يا أمير المؤمنين » !

قال المهدي :

« ونعم أيضاً ! ! » واشتد غضبه .

فقال معن :

« يا أمير المؤمنين ، قتلت فى طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً ولي أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي ، وحسن عنائي ، فما رأيتموني أهلاً أن تهبوا لي رجلاً واحداً إستجار بي ؟ ! »

فأطرق المهدي طويلاً ، ثم رفع رأسه وقد سري عنه ، فقال :

« قد أجرنا من أجرت »

قال معن :

« فان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه ، فعل .

قال المهدي :

« قد أمرنا له بخمسين ألفاً »

قال معن :

« يا أمير المؤمنين ، إن صلات الخلفاء ، تكون على قدر جنايات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيم ، فأجزل له الصلة » .

قال المهدي :

« قد أمرنا له بمائة الف »

قال معن :

« فتعجلها يا أمير المؤمنين ، فان خير البر عاجله »

فأمر بتعجيلها ، فدعا لأمير المؤمنين بأفضل الدعاء ، ثم انصرف ولحقه المال .

وخرج الرشيد ، وفي صحبته الفضل بن يحيى ، فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار ؛ وكان مصاباً برمد في عينه . فقال له الفضل :

« هل أدلك على دواء لعينك ؟ »

قال الشيخ :

« ما أحوجني إلى ذلك ! »

قال الفضل :

« خذ عيدان الهواء ، وغبار الماء ، فصيره في قشر بيض الدر ، واكتحل به ينفعك ! » .

فانحنى الشيخ ، وضرط ضرطة قوية وقال :

« خذ هذه في لحيتك إجرة وصفك ، وإن زدت زدناك ! » .

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابتـــه ، وخجل الفضل ابن يحيى .

وركب طـاهر بن الحسين ذات يوم إلى الصيـد والقنص ، وكان

أعور ، فلما دنا من باب المدينة وهو خارج ، تلقاه رجل أعور وهو داخل المدينة ، فتطير منه وأمر بصلبه بذراعه إلى حيث رجوعه من الصيد . فرجع ومعه صيد كثير ، فلما دنا من باب المدينة ، ناداه المصلوب :

« يا ملك ، أينا اشأم على صاحبه ، اصبحت بوجهك صلبت ، واصبحت أنت بوجهي ، فتح الله عليك هذا الرزق » .

فضحك منه ، وأنعم عليه ...

وقال الأصمعي : مررت بكناس يكنس كنيفاً ، وهو يغني ويقول :

« أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له :

« أما سداد الثغر ، فلا علم لنا كيف أنت فيه ؟ » .

قال الأصمعي : وكنت حديث السن ، فأردت العبث به ، فأعرض عني ملياً ثم اقبل علي وأنشد :

واكرم نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت :

« وأي كرامة حصلت لها منك ؟ ! وما يكون من الهوان اكثر مما أهنتها ؟ !

فقال :

« بل لا والله ! من الهوان ما هو اكثر وأعظم مما أنا فيه » .

فقلت له :

« ما هو ؟ » .

فقال :

« الحاجة إليك وإلى أمثالك ! » .

فانصرفت وأنا أخزى الناس ...

قال بعضهم لبشار بن برد الشاعر ـ وكان أعمى ـ :

« مـا أذهب الله كريمتي مؤمن إلا عوضه الله خيراً منهما ، فبم عوضك ؟

قال بشار :

« بعدم رؤية الثقلاء مثلك ! » .

وقال بعضهم :

« نزلت في بعض القرى ، وخرجت في الليل لحاجة ، فـاذا أنا بأعمى على عاتقه جرة ومعه سراج ، فقلت له :

« يا هذا ، أنت والليل والنهار عندك سواء ، فما معنى السراج ؟ » .

فقال :

« يا فضولي ، حملته معي ، لأعمى البصيرة مثلك ، يستضيء به ، فلا يعثر بي ، فأقع أنا وتنكسر الجرة . ! » .

ورافق أعرابي رجلاً في بعض أسفاره ، فسأله الاعرابي عن اسمه فقال :

« عبدالله » .

قال الاعرابي :

« ابن من ؟ » .

فقال :

« ابن عبدالله ! » .

قال الاعرابي : « أبو من ؟ »

فقال : « ابو عبيد الله الرحيم » !

فتضجر الاعرابي وقال :

« أشهد أنك تلوذ بالله لواذ لئيم جبان ! »

قالت لأبي العيناء قينة يوماً :

« يا أعمى ! »

فقال لها :

« ما استعين على وجهك بشيء أصلح من العمى ! »

وقال الجماز لأبي شراعة : كيف تجدك ؟

قال :

« أجدني مريضاً من دماميل قد خرجت في أقبح المواضع » .

فقال الجماز :

« ما أرى في وجهك منها شيئاً ! ؟ »

ومر ابن علقمة بمجلس بني ناجية ، وهو على حمار ، فكبا لوجهه فضحكوا .

فقال :

« ما يضحككم ؟ إنه رأى وجوه قريش فسجد ! »

وألح سائل على أعرابي ، أن يعطيه حاجة لوجه الله ، فقال الأعرابي :

« والله ليس عندي ما أعطيه للغير . . . فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحق »

فقال السائل :

« أين الذين كانوا يؤثرون الفقير على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ؟ »

فقال الاعرابي :

« ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً » !

* * *

ووقف على باب نحوي ، أحد الفقراء فقرعه ، فقال النحوي :

« من بالباب ؟ »

فقال له :

« سائل ! »

قال النحوي :

« لينصرف . . . »

فقال الفقير مستدركاً :

« إسمي أحمد » يعني ان (احمد) ممنوع من الصرف لا ينصرف عند النحاة .

فضحك النحوى ، وقال لغلامه :

« أعط سيبويه كسرة ! »

وأنشد ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه :

أصبحت ألطف من مرالنسيم على   زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من كل معنى لطيف أجتلي قدحاً   وكل ناطقة في الكون تطربني

فقام اليه إنسان فقال :

« يا سيدي الشيخ ، فان كان الناطق حماراً ؟ ! »

فقال :

« اقول له : يا حمار ، اسكت ! »

سأل أعرابي فقال :

« لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ، ولقد مشيت حتى انتعلت الدم ، وحتى سقط من رجلي بخص لحم ، وحتى تمنيت أن وجهي حذاء

لقدمي فهل من أخ يرحمنا ! ؟ »

وأمر الخليفة المتوكل بشاراً الشاعر ، أن يختبر جارية زعمت أنها تنظم الشعر ، فقال لها بشار :

« اتقرضين الشعر ؟ »

قالت الجارية :

« نعم . . . »

قال بشار :

« احمد الله كثيراً . . »

قالت الجارية :

« حيث انشاك ضريرا . . » !

وأخذ زياد رجلاً من الخوارج فأفلت منه ، فأخذ أخاه ، فقال له :

« إن جئت بأخيك ، وإلا ضربت عنقك ! »

قال :

« ارأيت إن جئت بكتاب من امير المؤمنين ، هل تخلي سبيله ؟ »

قال :

« نعم . . . »

قال :

« أنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم ، وأقيم عليه شاهدين : ابراهيم وموسى عليهما السلام (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى) (١) .

قال زياد : خلوا سبيله ، هذا رجل لقن حجته . . ! »

(١) سورة النجم ـ الآية ٣٦

ودخل على الحجاج بن يوسف الثقفي ، رجل وقعت عليه ظلامة فقال :

« اصلح الله الأمير ، أعـــرني سمعك ، واغضض عني بصرك ، واكفف عني غربك فان سمعت خطأ أو زللاً فدونك والعقوبة » .

قال الحجاج :

« قل ... » .

فقال :

« عصى عاص من عرض العشيرة ، فحلق على أسمي ، وهـــدم منزلي ، وحرمت عطائي .

قال الحجاج :

« هيهات ، أو ما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وقد تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مـأخوذ بذنب عشيرة ونجا المقارف صاحب الذنب

فقال الرجل :

« أصلح الله الأمير ، إني سمعت الله عز وجل يقول غير هذا .

قال الحجاج :

« وما ذاك ؟ .. » .

قال الرجل :

« قال الله تعالى : يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخـــذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون » .

فدعا الحجاج حاجبه وقال له : أفكك لهذا عن اسمه ، واصكك له بعطائه وابن له منزله ، ومر منادياً ينادي : صدق الله وكذب

الشاعر ! .

وجلس أحد الوزراء ، للنظر في المظالم ، فلما انقضى المجلس ، رأى رجلاً جالساً .

فقال له :

« ألك حاجة ؟ . »

قال :

« نعم . . . أدنني اليك فاني مظلوم ، وقد أعوزني العدل والانصاف . . ! »

قال الوزير :

« ومن ظلمك ؟ . . »

قال الرجل :

« انت ولست أصل اليك ، فأذكر حاجتي ! »

قال الوزير :

« وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولاً ؟ ! »

قال الرجل :

« يحجبني عنك هيبتك ، وطول لسانك وفصاحتك ! »

قال الوزير :

« ففيم ظلمتك ؟ ! »

قال الرجل :

« في ضيعتي ، أخذها وكيلك غصباً مني بغير ثمن ، فاذا وجب عليها الخراج ، أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها ، فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها ، وأنا أؤدي خراجها ، وهذا لم يسمع بمثله في المظالم » .

قال الوزير :

« هذا قول تحتاج معه الى بينه وشهود وأشياء ! »

فقال الرجل :

« أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب . . ؟ ! »

قال الوزير :

« نعم . . قد أمنتك »

قال الرجل :

« البينة هم الشهود إذا شهدوا ، فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فما معنى قولك (بينة وشهود واشياء) وأي شيء هذه الأشياء ؟ إن هي إلا الجور وعدو لك عن العدل »

فضحك الوزير وقال :

« صدقت ، والبلاء موكل بالمنطق » . . ثم رد له ضيعته ، ومنحه مائة دينار وصيره من اصحابه .

القسم الرابع

الجنس الناعم حين يخشن

المرأة التي أنجبت خير أمة ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فكونت جيلاً شاباً ، طوى الأرض فتحاً وسيادة ، بحزم ليس له أول كما ليس له آخر ، فأقام بين يديه دولة عظمى ، بسطت جناحيها على على شرق الارض وغربها ، على أسس تقدميـــة ثورية ، دللت بنجاح وجلاء ، على ما بعثته المرأة - من خلال رعايتها وتربيتها له - من مثل عليا في الرجولة ، وحب جم للتضحية والفداء ، واصرار على الثبات والمقاومة ، بايمان وعزيمة . . .

والواقع ، أن منزلة المرأة عنـد العرب ، اسمى منها عند غيرهم من دول الغرب ففي الوقت الذي يرى العربي في المرأة ، كنزاً ثميناً ليس من السهولة بمكان ، التهاون في أمره ، ويصونها ويحدد حريتها بقدر ما يكفل لها كرامتها ، لأنه يرى فيها كرامة العائلة ، ومن ثم كرامة المجتمع . . .

مقابل هـذا الاهتمام ، نجدها في الغرب ، لا تمثل سوى متاع خصب للحياة الصاخبة التي تعطي للمرأة حقوقاً اكثر مما تطلب ، لتسلبها عزها وقيمها ، وتتركها في صراع مع الحياة . . .

وحين نقف وقفة تقدير ، للفـارق الكبير ، بين المرأة العربية وغيرها من نسـاء الشعوب ، لوجدنا ان المرأة العربية ، هي السـابقة لغيرها في كل معترك ، ولقد بلغت في تمدنها ورقيها وتفتح ذهنيتهـا ، اشواطاً لم تبلغها أية امرأة في العالم آنذاك لأنها وحدة متكاملة في فضائلها وتقاليدها ، وعزتها . . .

وبهذا يكون دورها مهماً في التـاريخ العربي ، لأنهـا استطاعت بخلقها الفـاضل أن تنشىء مجتمعاً يحترمها ويوليها عناية كبيرة ، وتلك هي النقطة الأساس التي بني عليها المجتمع العربي ، قديماً وحديثا . . .

وحق للمرأة العربية ، ان تحتل مكان الرفعة ، لأنها لبست قبل ذلك ثياب العفة والادب والشهامة ، واستطاعت ان تسابق الرجال في مواطن العـلم والفن والادب حتى برز في المجتمعات العربية ، كثيرات ممن اشار اليهن سجل التأريخ بالبنان ، وعرف عنهن جودتهن في الشعر والعلوم والفنون ، زاحمن فيها مجالس الرجال زمناً طويلاً ، فبرز منهن بحسن الرأي ، والتبصر في الامور ، ونبغ منهن في السياسة والادب والشعر والتجارة .

فكانت لهن مكانة اجتماعية محترمة ، حتى يروى عن ابن مسعود ابن مالك الثقفي ، انه كان يضع امرأته في مكان مرموق من تقديره واحترامه ، فاقام لها خباءاً محرماً في حرب الفجار ، من دخل فيه من أعدائه من قريش ، فهو آمن ! .

وما كان ذلك ، إلا اعترافاً بقيمة المرأة كقسيم لهذه الحيـاة له حقوق وعليه أخرى ، وحيث انها كانت الرفيق الوفي للرجل ، في صراعه مع الحياة ، قاعداً وقائما ، فكانت تشاركه الرأي ، وتقترح عليه الخطط وتنتقد فيه الاخطاء ، وترشده حيناً إذا اسف فتدعوه إلى الاستقـامة

والسعي إذا ما تقاعس او ضعفت فيه موازين الاستقامة ، في خلقه ، وعمله ، وعلاقاته ، حتى كان لبعضهن شأن خطير في ادارة دفة البلاد .. كأن تكون ملكة ، او في بيت مالك ...

وهذه الصورة الآتية ، تحليل مفصل للأصول التي تلزم مراعاتها من جانب الرجل ، وهو يتربع على عرش الزوجية ، وموسوعة منسجمة من الارشاد الأخلاقي في تحديد السلوك ...

وضع احدهم - يوماً - رأسه ، في حجر امرأته فنام ، فتلطفت في إزالة رأسه من حجرها ، ووسدته وخرجت من البيت .

فلما استيقظ ، ذعر وناداها ، فاجابته من قرب ، فقال لها :

« اسلمت نفسي إليك ، فذهبت عني ! » .

قالت :

« إن مما ادبني به ابي ، ان لا اجلس مع النيام ، ولا انام مع الجلوس ! » .

فاستحسن ذلك منها ...

نعم ، ذلك درس بليغ تحققه امرأة فاضلة ذكية ، تحس بعمق مهمة كل من الزوجين في اسعاد الآخر ، ومداعبة الوتر الحساس ، الذي ترقص على انغامه مشاعر كل منهما ، والتي لابد منها .

والآن ، مع الحكمة البارعة في اصدار الحجة ، وحسن التخلص ، والتنبيه بضرورة مراعاة رغبة الجنس الثاني في اختيار نصفه الآخر .

مر رجل اشمط بامرأة حسناء فقال :

« يا هذه ، إن كان لك زوج ، فبارك الله لك فيه ، وإلا فاعلمينا ! »

فقالت :

« كأنك تخطبني ؟ ! » .

قال : نعم !

فقالت : « إن في عيباً ! » .

قال : وما هو ؟ !

قالت : شيب في رأسي ! .

فثنى عنان دابته ، وهم بالرحيل ، فقالت :

« على رسلك ، فلا والله مـا بلغت عشرين سنة ، ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ، ولكنني احببت ان اعلمك إني اكره منك مثل ما تكرة مني » .

فانشد يقول :

« رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي   فاعرضن عني بالخدود النواضر »

فلا اظنك ـ عزيزي القارىء ـ تنكر عليها حقاً هي صاحبته !..

وحين نتعلم كيف نحترم الحقوق ، يجب ألا ننسى ، ان ادب اللسان ، هو كل شيء نملكه للتحدث إلى الآخرين ، حين ننشد فيهم الاحترام المتبادل ، وإلا فان شطط اللسان امر عسير ...

قال شداد الحارثي : قلت لأمة سوداء بالبادية :

« لمن انت يا سوداء ؟ ! » .

فقالت : لسيد الحضر يا اصلع .. ! « وكان شداد اصلع » .

فقلت لها : اولست بسوداء ؟ !

قالت : اولست باصلع ؟ !

فقلت لها : ما اغضبك من الحق ؟ !

قالت : الحق اغضبك ، لا تسبب ترهب ، ولأن تتركه امثل .!.

« لا تسببي ترهب » .

فنحن نشتري من الناس حبهم واحترامهم ، بقدر ما نقدم ونكن

لهم من حب واحترام لما حين نتناسى الديون ، فان اصحاب الحق ، ليسوا بضعفاء ، عن المطالبة فيه ، وقد يكون الاسلوب ، الذي يتسلحون به اشد واقسى مما يتوقعه المرء ، لا سيما حين يتجاوز البعض حدود ملكيتهم ، ليتعرضوا سبيل قوافل الآخرين ، كما كان الأمر مع بعضهم حين رأى جارية حسناء الساعد ، فقال لها :

« يا جارية ، ما احسن ساعدك ! » !

فقالت :

« لكنك لم تختص به ، فغض بصر جسمك ، عما ليس لك ، لينفتح بصر عقلك فترى مالك ! » .

وليلى الاخيلية بنت عبدالله من بني عامر بن صعصعة ، شاعرة اموية من شواعر العرب ، والتي عاشت صدر حياتها في عصر الراشدين وكانت على درجة كبيرة من الجمال والذوق والخلق ، فنالت مكاناً مرموقاً في عصرها ، وجالست خلفاءه وامراءه ...

تعلق بها توبة بن الحمير بن حرام بن كعب بن خفاجة ، فأحبها واحبته ، وعرف ذلك عنهما بين الناس ، وتقدم لخطبتها من ابيها ، فرفض ان يزوجه اياها لتشهيره بها وتزوجت من سوار بن اوفى القشيري الشاعر ، وظل توبة هائماً لا يهنأ له مقام ولا يطيب له عيش ، حتى قتل على اثر خصومة بينه وبين قومه ، فرثته ليلى في شعرها كثيراً .

تتحفنا بهذه البديهة ، لتلقيه حجراً صلداً ، بوجه من لا يحترم احاسيس الآخرين فيسخر منها بدافع الفضول ، لمجرد الفضول ...

طلب الحجاج بن يوسف الثقفي ، إلى ليلى الأخيلية ، ان تنشده مما قالته في رثاء توبة الخفاجي ، الذي مات وكان يحبها حباً جماً ، فأنشدته :

« كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ
فلائص يفحصن الحصى بالكراكر » (١)

فلما فرغت من القصيدة ، قال محصن الفقعسي - وكان من جلساء الحجاج : « من الذي تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة » .

فنظرت اليه ليلى ثم قالت للحجاج :

« أيها الأمير ، إن هذا القائل ، لو رأى توبة لسره ألا تكون في داره عذراء إلا هي حامل منه . . ! »

فقال الحجاج :

« هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً . . »

وهذا مشهد من التاريخ ، ينبئك عن صورتين للمرأة العربيـــة الحبيبة ، برزت في إحداهما صوره للكبرياء والتفاضل ، وبدت في أخراهما صورة للوفاء الصريح ، والاعتراف الشجاع ، والدفاع في موقف الظهر ...

فحين دخلت بثينـة وعزه ، على عبد الملك بن مروان ، إنحرف عبد الملك إلى عزة وقال :

« انت عزة كثير ؟ »

قالت :

« لست لكثير بعزة ، لكنني أم بكر (٢) .

قال عبد الملك :

« أتروين قول كثير :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي ياعز لا يتغير »

---

(١) الكراكر : قرصة ناتئة في جسم البعير (بارزة) ...

(٢) لست لكثير بعزة ، لكنني ام بكر : تستنكف ان يكون كثير عاشقها .

قالت :

« لست أروي هذا ! ولكني أروي قوله :

كأني أنادي الصم او اكلم صخرة

من الصم لو تمشى بها العصم زلت » (١)

ثم انحرف الى بثينة (٢) فقال :

« أنت بثينة جميل . . ؟ »

فقالت : « نعم يا أمير المؤمنين »

قال عبد الملك :

« ما الذي رأى فيك جميل ، حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ »

قالت بثينة :

« الذي رأى الناس فيك ، فجعلوك خليفتهم . . ! »

---

(١) العصم : الغزال في يده بياض وسواد .

(٢) بثينة : هي بثينة بنت حمأ بن ثعلبة ، احبها ابن عمها الشاعر الاموي ، جميل بن معمر من بني عذره واحبته ، وشهر بها حتى لقبه الناس بـ (جميل بثينة) . وخطبها من ابيها فرده وظل يذكرها في شعره ، حتى ضاق اهلها به ذرعاً ، فزوجوها من رجل يدعى نبيه . فرحل جميل بعدها إلى مصر . وهناك مات سنة ٨٢ هـ بعد ان انهكه مرض عضال اصابه .

عزة : بنت عبدالله ، من حسان زمانها ، تعرف عليها الشاعر كثير وشهر بها حتى لقبه الناس بـ (كثير عزة) . احبها واحبته بتردد ، ولم يتمكن من الزواج بها ، فتزوجت ابن عم لها . ويروى انها كانت ذات انفة ، ومترددة في حبها لكثير .

فضحك عبد الملك ، وسره جوابها وفضلها على عزة في الجائزة . .

وصورة أخرى لها ميزاتها وخصائصها ، إذ يتجلى فيها الاعتزاز والاعتداد بالنفس والاكبار بالعز .

فقد حاول بعضهم ، أن ينـال من امرأة قبيحة ، ولكن فاته أن تحت الرماد ناراً حامية !

وقفت امرأة قبيحة على عطار ماجن ، فلما رآها قال :

« واذا الوحوش حشرت . . » !

فقالت : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه . . » !

وفي الأحكام ، تصيب امرأة ، وقد يخطيء رجل عالم تقي ، وتقف هي بثبات لتدعم ركناً مهماً في حياتها ، لا لها ، والكن للمرأة حيث كانت ، وأياً كانت . . .

لما تولى عمر بن الخطـاب رضى الله عنه ، بلغه أن النبي صلى الله وآله وسلم لم يدفع في زواجه صداقاً يزيد على خمسمائة درهم ، وان صداق فاطمة رضي الله عنها كان اربعمائة درهم ، ففكر في تحديد الصداق بين المسلمين بمبلغ اربعمائة درهم ، فصعد المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، لا تزيدوا في مهور النسـاء على اربعمائة درهم ، فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين » !

فهاب الناس أن يكلموه ، فقامت امرأة ، فقالت له :

« كيف يحل لك هـذا ، والله تعـالى يقول : (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) (١) .

فقال عمر :

---

(١) سورة النساء ـ الآية رقم ٢٠ .

« امرأة اصابت ، ورجل أخطأ ! »

ومن النساء من كان لهن شأن كبير في توجيه الرجـال ، ببراعة الحجة ، وشجـاعة القلب ، والدخول مدخل الابطال في دحر الغرور والطيش ، وسحر البيان المفحم في طريقة العرض والطلب .

فلما ظلم احمد بن طولون قبل أن يعدل ، استغاث النـاس من ظلمه ، وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها ، فقالت لهم :

« متى يركب ؟ »

قالوا : في غد

فكتبت رقعة ، ووقفت بها في طريقه ، وقالت :

« يا احمد يابن طولون . . . » (١)

فلما راها عرفها ، فترجل عن فرسه ، واخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها :

« ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم فعسفتم ، وردت اليكم الارزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب اوجعتموها ، واكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، إعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا الى الله مستجيرون ، واظلموا فانا بالله متظلمون « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (٢) .

فترك احمد بن طولون الظلم جانباً ، وسلك سبيل العدل .

---

(١) احمد بن طولون / مؤسس الدولة العربية الطولونية في مصر « ٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ » والست نفيسة / هي بنت الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي (ع) من العابدات الصالحات .

(٢) سورة الشعراء ـ الآية ٢٢٧ / .

وهذا طراز من النساء الفاضلات ، اللاتي برعن في طرقهن ، لتحطيم كبرياء الامارة الذي أفرط فيه الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومن هذا الطراز نختار هند ابنة النعمان التي كانت من اجمل اهل زمانها فوصف للحجاج حسنها ، فأنفذ اليها يخطبها ، وبذل لها مالا جزيلاً ، وتزوج بها ، وشرط لها بعد الصداق مائتي الف درهم ، ودخل بها ، وكانت هند فصيحة أديبة .

ففي ذات يوم ، وقفت أمام المرآة ، وأنشدت :

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل (١)
فان ولدت فحلا فلله درها وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

وكان الحجاج واقفاً على مقربة منها دون أن تشعر به ، وسمع ما قالت فانصرف عنها وصمم على طلاقها .

فانفذ اليها مع احد رجاله مائتي الف درهم ، وذلك قيمة صداقها وقال للرجل :

« طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما ! » .

فدخل عليها الرجل وقال لها :

« يقول لك ابو محمد الحجاج : كنت فبنت وهذا صداقك ! » .

فقالت له :

« إنا والله كنا فما حمدنا ، وبنا فما ندمنا ، وهذه المائتا الف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف ! » .

ثم بلغ الخليفة عبدالملك بن مروان خبرها ، ووصف له جمالها ، فارسل اليها يخطبها فاجابته إلى طلبه بعد تردد ، واشترطت عليه ان يقود الحجاج جملها إلى دمشق على ان يسير حافياً بملابسه الفاخرة

---

(١) تحللها : تزوجها .

التي كان يرتديها يوم ان تزوجها .

فوافق الخليفة على ذلك ، وبعث إلى الحجاج وامره بان يستعد للقيام بتلك المهمة ، فامتثل الحجاج للأمر ...

وفي يوم الزفاف ، ركبت هند فى هودجها ، وركب حولها جواريها وخدمها ، وأخذ الحجاج بزمام البعير ، وجعلت هند تضحك منه وتهزأ به .

ثم رفعت ستر الهودج ، فاذا هي امام الحجاج وجهاً لوجه ، فنظرت اليه وضحكت . ولما قربت من قصر الخليفة ، رمت بدينار على الارض ونادت :

« يا جمال ، إنه قد سقط منا درهم فارفعه الينا .. » .

فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا ديناراً ، فقال : إنما هو دينار !

فقالت : بل درهم ! قال : بل دينار !

فقالت : الحمدلله ، سقط منا درهم ، فعوضنا الله ديناراً ! .

فخجل الحجاج وسكت ، ولم يرد جواباً ...

وفي مجلس معاوية ، ومن حوله جماعة متفقة ، يمتد لسان المرأة العربية ليسجل لائحة تأريخية للجرأة الشجاعة ، والصراحة البيضاء دون أن يكون هناك خلط في الكلام أو وهن في الحجة ، أو ضعف في التخريج . . .

وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية ، على معاوية بن ابي سفيان فاستأذنت عليه ، فاذن لها فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها :

« كيف انت يا ابنة الأشتر ؟ » .

قالت :

« بخير يا اميرالمؤمنين •• » .

قال معاوية :

« انت القائلة لأخيك » :

شمر كفعل ابيك يابن عمارة يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطـه واقصد لهند وابنها بهوان
إن الامام أخو النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر امـام لوائه قدماً بابيض صارم وسنان

قالت :

« يا اميرالمؤمنين ، مات الرأس ، وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي .

قال :

« هيهات ، ليس مثل مقام أخيك ينسى ! »

قالت :

« صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان أخي حفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهداة بـه كأنه علـم في رأسـه نار

وبالله اسأل امير المؤمنين إعفائي مما استعفيته . قال : قد فعلت فقولي حاجتك .

قالت :

« يا امير المؤمنين ، إنك للناس سيد ولامورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط سلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا

الخسيسة ، ويسألنا الجليلة . .

هذا ابن أرطأة قدم بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلتــه عنا فشكرناك ، وإما لا فعرفناك .

فقال معاوية :

« إياي تهددين بقومك ، والله لقد هممت أن اردك اليه على قتب أشرس ، فينفذ حكمه فيك . . »

فسكتت ثم قالت :

صـلى الالـه على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً فصـار بالحق والايمان مقرونا

قال :

« ومن ذلك ؟ »

قالت :

« علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى »

قال :

« ما أرى عليك منه أثراً ! »

قالت :

« بلى ، أتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائماً يصلي ، فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف « ألك حاجة ؟ » .

فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ثم رفع يديه الى السماء ، فقال :

« اللهم إني لم آمرهم يظلم خلقك ، ولا ترك حقك . . . ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم » (١) « ولا تعثوا في الارض مفسدين » (٢) « بقيـة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ » (٣) .

إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك ، حتى يأتي من يقبضه منك والسلام » .

فأخذته منه يا امير المؤمنين ، ما خزمه بخزام ، ولا ختمه بختام »

فقال معاوية :

« اكتبوا لها بالانصاف لها ، والعدل عليها . . »

فقالت :

« ألي خاصة . أم لقومي عامة ؟ »

قال :

« وما أنت وغيرك ؟ ! »

قالت :

« هي والله إذاً الفحشاء واللؤم إن لم يكن عـدلاً شاملاً ، وإلا يسعني ما يسع قومي . . »

قال :

« هيهات ، لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ما تفطمون » .

وغركم قوله :

---

(١) سورة الاعراف ـ الآية ٨٥

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٦٠

(٣) سورة هود ـ الآية ٨٦

فلو كنت بواباً على باب جنة | لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله :

ناديت همدان والابواب مغلقة | ومثل همدان سنى فتحة الباب

كالهند واني لم تفلل مضاربه | وجـه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لهـا بحاجتها . . .

وحكي أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال :

« مرحباً بك وأهلاً يا عمة ، فكيف كنت بعدنا ؟ »

فقالت :

« يا ابن اخي . لقـــد كفرت يد النعمة ، واسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، واخذت غير حقك من غير بلاء كان منك ، ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتعس الله منكم الجدود ، وأضرع منكم الخدود ، ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون .

وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فوليتم علينا من بعدة ، تحتجون بقرابتكم من رسول الله (ص) ، ونحن أقرب اليه منكم ، وأولى بهذا الأمر . فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينـا (ص) بمنزلة هارون بن موسى ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص :

« كفي أيتها العجوز الضآلة ، وأقصري من قولك مع ذهاب عقلك إذ لا تجوز شهادتك وحدك »

فقالت له :

« وأنت يا بن النابغـــة ، تتكلم وأمك كانت اشهر امرأة تغني بمكة . . . وآخذهن لاجرة ، ادعاك خمسة نفر من قريش ، فسئلت امك عنهم ، فقالت : كلهم أتاني ، فانظروا اشبههم به ، فألحقوه به فغلب عليك شبه العاصي ابن رائل فلحقت به »

فقال مروان :

« كفي أيتها العجوز ، واقصدي لما جئت له »

فقالت :

« وأنت أيضاً يابن الزرقاء تتكلم ! »

ثم التفتت الى معاوية وقالت :

« والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك ، فان أمك القائله في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بـــدر

والحرب بعـــد الحرب ذات سعر

وما كان لي عن عتبـة من صبر

وشكـر وحشي علي دهـــري

حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها بنت عمي ، وهي تقول :

خزيت في بدر وبعـــد بدر يابنة جبـــار عظيم الكفر

فقال معاوية :

« عفا الله عما سلف ، يا عمة ، هات حاجتك »

قالت :

« مالي إليك حاجة ، وخرجت عنه . . . .

وتلك امرأة من بني ثعل ، تخاطب الخليفة المهدي ، بصورة ضمنتها ميداناً رحباً بالمعاني الجسام ، والأصالة في اللسان ، فقالت قولا سديدا

نم عن خبرة ومراس في مواجهة المواقف الحاسمة ، التي يجد المرء نفسه فيها ، وهو على مفرقي طريق ، ينبغي أن يسلك الطريق الأمينة التي توصله الى غايته . . .

وقف المهدي على امرأة من بني ثعل ، فقال لها :

« ممن العجوز ؟ »

قالت : من طيء . .

قال المهدي :

« ما منع طيئاً أن يكون فيها آخر مثل حاتم ؟ ! »

فقالت :

« الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك ! »

فأعجب بقولها ووصلها . . .

وأمرأة أخرى ، لا تتهالك في خطب رضا الخليفة ، لتجلعه بين يديها ، بل اختارت طريقها شريفاً وشجاعاً ، لتثبيت مكانتها في مجالس الآخرين ، لا ينقصها ادراك للموقف ، ولا وعي او معرفة . . . فتقف وسط المجلس الصاخب ، بعد أن دالت الدولة بأهلها من آل برمك ، وكان الخليفة لم يزل في اوج غضبه . . .

دخلت على هارون الرشيد ، وعنده جماعة من وجوه أصحابه ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أقر الله عينك ، وفرحك بما أتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت » .

فقال لها :

« ممن تكونين ايتها المرأة ؟ !

فقالت :

« من آل برمك ، ممن قتلت رجالهم واخذت اموالهم وسلبت نوالهم . » !

فقال هارون :

« أما الرجال ، فقد مضى فيهم أمر الله ، ونفذ فيهم قدره . وأما المال فمردود اليك » .

ثم التفت الى الحاضرين من اصحابه فقال :

« أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟ ! »

فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً !

قال : ما أظنكم فهمتم ذلك . . . أما قولها (أقر الله عينك) أي اسكنها عن الحركة ، واذا سكنت العين عن الحركة عميت .

وأما قولها (وفرحك بما أتاك) فأخذته من قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة) .

وأما قولها (واتم الله سعدك) فأخذته من قول الشاعر :

« إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم »

وأما قولها (لقد حكمت فقسطت) فأخذته من قوله تعالى (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) . !

فعجبوا من ذلك . . . !

والآن ، راويتنا الجاحظ . . . إذ يروي حكاية جليلة ، صاغتها امرأة جارية لتقع صاعقة على رأس الخليفة المعتصم ، ولتكون أبلغ أثراً من السيف عند طعان الألسن .

قال الجاحظ : طلب المعتصم جارية كانت لمحمود الوراق ، وكان نخاساً ، بسبعة آلاف دينار ، فامتنع محمود من بيعها . . .

فلما مات محمود ، اشتريت للمعتصم من ميراثه بسبعمائة دينار

فلما دخلت عليه ، قال لها :

« كيف رأيت تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة ؟!

قالت :

« أجل . . . إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث ، فان سبعين ديناراً كثيرة في ثمني ، فضلاً عن سبعمائة ! . . فأخجلته . . .

ويسهم الأصمعي ، وهو أديبنا الفاضل ، في هذا الموكب الروائي يحدثنا عن مشاهداته . . . عن طريف ماثبته في مذكراته . . . عن امرأة حسناء ، سجلت معه موقفاً مجيداً في الخلق . . .

قال الأصمعي : رأيت بدوية ، من احسن الناس وجهاً ، ولها زوج قبيح . . .

فقلت :

« يا هذه ، أترضين أن تكوني زوجة لهذه ؟ ! »

فقالت :

« يا هذا ، لعـــله أحسن فيما بينه وبين ربه ، فجعلني ثوابه ؛ واسأت فيما بيني وبين ربي ، فجعله عذابي ، افلا ارضى بمـا رضي الله لي ؟ ! » .

والآن

بعد هذه الرحلة المتعة في دنيـا المرأة العربية ، نكون قـد أتينا على نهاية الفصل ، ولسنا بتاركيه إلا بهاتين الطريفتين ، إنهما من صنع المرأة . . هذه المرأة التي حدثتك عنها . . . إنها المرأة المعجزة التي نضيع في بحرها دون أن نجد فيه قراراً نستكن اليه . . .

إن بعضهم ، رأى امرأة حاملة فردة سقمان لتخيطة فقال لها :

« إعتقي هذا الغراب . ! » أي اطلقيه ليطير . . .
فقالت : « رح لأسيبه ينقرك ! » .

القسم الخامس

مواقف ظريفة ..

بعد هذه الرحلة الشاقة ، في جد الحديث وغثه ، في عالم صاخب ثائر . . . توسمت فيه روح النضال الجماهيري ، درجة الشرف والانطلاق ، بعد كل ذلك ، تمسك بأيدينا صفحات هذا الكتاب ، وهي تأبى أن نصل نقطة الفراق ، قبل أن نسجل حلاوة بين الأسنان تداعب افكارنا إلى الابد . . .

وها نحن قد اقتطفنا لك - عزيزنا القارىء - من هنا وهناك . ملحاً طريفة من الاجوبة المسكتة ، ولكن بغير الطريقة التي ألفتها في صفحات سابقة . . .

هذه المرة ، ستجد نفسك تضحك ، ولكن بدافع ملح ، وليكن اول ما يطلع علينا الحطيئة ، والحطيئة شخصية فريدة في تكوينها ، وعالم غريب ، تجد فيه كل التمرد والانطلاق .

... كان الحطيئة يرعى غنماً ، وفي يده عصا ، فمر به رجل فقال :

« يا راعي الغنم ، ما عندك ؟ ! »

قال الحطيئة :

« عجراء من سلم ! » - يعني عصاه .

قال الرجل :

« إني ضيف . ! »

قال الحطيئة :

« للضيفان أعددتها . . ! » .

كان يضع النقاط على حروفها ، ليسد على الآخرين كل منفتح ، ومثله كان أزهر بن عبد الحارث حين أتاه رجل من آل يربوع ، فقال :

« ألا ادخل ؟ »

قال أزهر :

« وراءك اوسع لك ! »

قال الرجل :

« إن الشمس احرقت رجلي ! »

قال أزهر :

« بل عليهما تبردا ! ! »

وصورة أخرى ، ولكن هذه المرة ، بين الحديث والمتحدث . . . فقد حدث ابن السماك بحديث ، فقيل له :

« ما إسناده ؟ ! »

قال :

« هو من المرسلات عرفاً . ! »

وسأل حفص بن غياث الأعمش ، عن اسناد حديث ، فأخذ بحلقه وأسنده الى حائط وقال :

« هذا إسناد . . »

ودخل احدهم على طبيب ، فقال :

« إني اجد معمعة في بطني ، وقرقرة . ؟ »
فقال له :
« أما المعمعة فلا اعرفها ، وأما القرقرة فهو ضراط لم ينضج .. ! »
وروى عن ابن الجصاص ، أنه قال يوماً :
« اللهم امسخني حورية ، وزوجني بعمر بن الخطاب ! ! »
فقالت له زوجته :
« سل الله أن يزوجك من النبي (ص) ! »
فقال :
« ما أحب أن أكون ضرة لعائشة رضي الله عنها . . ! »
وجاء ابو الحسن الخراز ، الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير ، فأذن للناس في الدخول ، ولم يأذن له ، فكتب في ورقة :

. . . .

فلما قرأها ابن الزبير ، قال لحاجبه :
« أخرج إلى الباب وقل :
يا خصى أدخل . . ! »
فدخل ابو الحسن وهو يقول :
« هذا دليل على السعة . . ! » .
وكان بالرقة رجل يحدث النـاس عن بني اسرائيل ، وكان يكنى أبا عقيل ، فقال له الحجاج ابن حنتمة :
« ما كان اسم بقرة بني اسرائيل . . ؟ »
قال :
« حنتمة . . ! »
فقال له رجل من ولد أبي موسى :
« في أي الكتب وجدت هذا ؟ »

قال :

« في كتاب عمرو بن العاص ! ! »

ودخل رجل على الشعبي ومعه امرأة ، فقال :

« أيكم الشعبي ؟ ! »

قال الشعبي :

« هذه . . ! »

وسئل الشعبي عن لحم الشيطان ، فقال :

« نحن نرضى منه بالكفاف ! »

قال :

« فما تقول فى الذبان ؟ ! »

قال الشعبي :

« إن اشتهيته فكله . . ! »

وعن زكريا بن ابي زائدة قال : كنت مع الشعبي في مسجد الكوفة ، إذ اقبل حمال على كتفه كودن فوضعه ودخل اليه فقال :

« يا شعبي ، ابليس كانت له زوجة ؟ »

قال الشعبي :

« ذاك عرس ما شهدته ! »

قال :

« هذا عالم العراق ، يسأل عن مسألة فلا يجيب . ! »

فقال الشعبي :

« ردوه ، نعم له زوجة ، قال الله عز وجل : (افتتخذونه وذريته اولياء من دوني) . ولا تكون الذرية إلا من زوجة » .

قال :

« فما كان اسمها ؟ »

قال الشعبي :

« ذاك املاك ما شهدته ! »

وعن عبد الله بن عياش ، قال :

جلس الشعبي على باب داره ذات يوم ، فمر به رجل فقال :

« اصلحك الله ، إني كنت اصلي فأدخلت اصبعي في انفي ، فخرج عليها دم فما ترى احتجم ام افتصد ؟ »

فرفع الشعبي يديه وقال :

« الحمد لله الذي نقلنا من الفقه الى الحجامة ! »

ونظر طفيلي الى قوم ذاهبين ، فلم يشك انهم في دعوة ، او ذاهبون الى وليمة ، فقام وتبعهم . فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم ، فلما انشد كل واحد منهم شعره ، واخذ جائزته . لم يبق إلا الطفيلي وهو جالس ساكت ، فقال له السلطان :

« انشد شعرك . . ! »

فقال :

« لست بشاعر . . »

قيل :

« فمن انت ؟ ! »

قال :

« من الغاوين : الذين قال الله تعالى في حقهم : (والشعراء يتبعهم الغاوون) (١) .

فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء . . .

وعن جرير قال : جئت الاعمش يوماً فوجدته قاعداً في ناحية ،

---

(١) سورة الشعراء ـ الآية ٢٤٤

وفي الموضع خليج من ماء المطر ، فجاء رجل عليه سواد ، فرأى الاعمش وعليه فروة ، فقال :

« عم ، عبرني هذا الخليج » .

وجذب بيده فأقامه وركبه ، وقال :

« سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » (١)

فمضى به الأعمش حتى توسط الخليج ، ثم رمي به وقال :

« وقل رب انزلني منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين » (٢)

ثم خرج وتركه يتخبط في الماء . . .

وقال رجل للأعمش :

« كيف بت البارحة ؟ »

« فدخل وجاء بحصير ووسادة ، ثم استلقى وقال : كذا . ! »

وقال الهيثم بن عدي : بينا أنا بكناسة الكوفة ، إذا برجل مكفوف البصر قد وقف على نخاس من نخاسي الكوفة ، فقال :

« أريد حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، إذا خلا له الطريق تدفق ، واذا كثر الزحام ترفق ، وإن اقللت علفه صبر وان اكثرته شكر ، واذا ركبته هام ، واذا ركبه غيري نام ! »

فقال له النخاس :

« يا عبد الله ، اذا مسخ الله القاضي حماراً ، اصبت به حاجتك إن شاء الله »

وعن الاصمعي ، قال : خطب اعرابي الى قوم ، فقالوا :

« ما تبذل من الصداق ؟ »

---

(١) سورة الزخرف ـ الآية ١٣

(٢) سورة المؤمنون ـ الآية ٢٩

وارتفع السجف فرأى شيئاً كرهه ، فقال :

« والله ما عندي نقد ، وإني لأكره ان يكون علي دين . . ! »

وقال الأصمعي ايضاً :

توضأ اعرابي ، فبدأ بوجهه ورجليه ، ثم استنجى ، فقيل له :

« اخطأت السنة . ! »

فقال :

« لم أكن لأبدأ بالخبيثة قبل جوارحي . ! »

* * *

وبات رجل في دار قوم ، فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الرجل في الغرفة ، فصاح به :

« يا فلان . . »

قال :

« لبيك . . . »

قال :

« كنت في الدار ، فما الذي رقاك الى الغرفة ؟ »

قال :

« قد تدحرجت ! »

فقال :

« الناس يتدحرجون من فوق الى اسفل ، فكيف تدحرجت انت الى فوق ؟ »

قال :

« فمن هذا اضحك ! » .

وروى الحريري - صاحب المقامات المشهوره - في كتابه (توشيح البيان : إن احمد بن المعذل كان يحب اخاه عبد الصمد حباً عظيماً على تباين طريقهما ، لأن احمد كان صواماً قواماً ، وكان عبد الصمد سكيراً خمورياً ، وكانا يسكنان داراً واحدة يسكن احمد في اعلاها ، وينزل عبد الصمد في اسفلها .

فدعا عبد الصمد ليلة جماعة من ندمائه ، واخذ في اللهو والعزف والشرب حتى منعوا احمد من الدعاء وقراءة القرآن ، ونغصوا عليه التهجد ، فاطلع عليهم وقال .

« أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض » (١)

فرفع عبد الصمد رأسه وقال :

« وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » (٢) .

واشترى اعرابي غلاماً ، فقيل للبائع :

« هل فيه من عيب ؟ »

قال :

« لا . . . إلا انه يبول في الفراش ! »

قال :

« هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشاً فليبل فيه . ! »

وأقبل اعرابي يريد رجلاً ، وبين يدي الرجل طبق فيه تين ، فلما أبصر الاعرابي ، غطى التين بكساء كان عليه ، والاعرابي يلاحظه فجلس بين يديه فقال له الرجل :

« هل تحسن من القرآن شيئاً ؟ ! »

قال :

---

(١) سورة النحل - الآية ٤٥ .

(١) سورة الأنفال - الآية ٣٣

« نعم . . »

قال :

« فاقرأ . . . »

فقرأ الاعرابي « والزيتون وطور سنين » !

قال الرجل :

« فأين التين » ؟

قال :

« تحت كسائك . ! » .

وقدم اعرابي على ملك ، فأخذ يثني عليه ويدعو له ، فهو كذلك إذ انفلتت منه ضرطة سمعها كل الحاضرين ، فلم يخجل ، والتفت إلى إسته كأنه يخاطبها ، فقالت :

« مثل هذا الملك ، يصلح أن يثنى عليه بجميع الجوارح . ولكن إذا رأيت اللسان يتكلم فاسكتي انت » !

فضحك منه الملك ، واستحسن قوة قلبه ، وقضى حاجته . . .

وشكا بعضهم كثرة العيال ، فقالوا له :

« مه ، إنهم عيال الله . ! »

قال :

« صدقتم ، ولكن كنت اشتهي الوكيل عليهم غيري ! »

فهرست الاعلام

المصادر والمراجع

١ .. الاخلاق والمجتمع / الدكتور زكريا ابراهيم
الدار المصرية للتأليف .. المكتبة الثقافية العــدد / ١٥٢
سنة ١٩٦٦ م
٢ .. الأدب الثوري عبر التأريخ / محمد مفيد الشوباشي
دار الهلال بمصر .. العدد / ١٩٧ أغسطس ١٩٦٧ م
٣ .. الأدب العربي وتأريخه / محمود مصطفى
البابي الحلبي بمصر / الطبعة الثانية - ١٩٣٧ م
٤ .. الاعجاز والايجاز / ابو منصور الثعالبي
المطبعة العمومية .. ١٨٩٧ م
٥ .. الاغاني / ابو الفرج الاصبهاني
دار الفكر ومكتبة الحياة .. بيروت .. ١٩٥٥ م
٦ - الأمالي / ابو علي القالي البغدادي
مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الثالثة - ١٩٥٣ م
٧ الامتاع والمؤانسة / ابو حيان التوحيدي
القاهرة .. الطبعة الثانية .. ١٩٥٣ م
٨ .. الأوراق / ابو بكر الصولي
مطبعة الصاوي .. القاهرة .. الطبعة الأولى .. ١٩٣٤ م
٩ .. ابو جعفر المنصور / علي أدهم
أعلام العرب .. ٨٢ / دار الكاتب العربي بمصر .. ١٩٦٩ م
١٠ .. ابو دلامة الأسدي / علي عبد عيدان الخزاعي
مطبعة الآداب بالنجف .. العراق .. الطبعة الأولى .. ١٩٦٥ م
١١ .. اتجاهات الشعر العربي / محمد مصطفى هدارة
دار المعارف بمصر .. الطبعة الأولى .. ١٩٦٣ م

١٢ ـ احمد بن طولون / الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف
أعلام العرب ـ ٤٨ ـ الدار القومية بمصر ـ بلا تأريخ
١٣ ـ أخبار الحمقى والمغفلين / ابن الجوزي
تحقيق علي الخاقاني ـ مطبعة البصري ببغداد ـ ١٩٦٦ م
١٤ ـ أخبار الظراف والمتماجنين / ابن الجوزي
مطبعة التوفيق بدمشق ـ ١٣٤٧ هـ
١٥ ـ أدبيات اللغه العربية / محمد عاطف
المطبعة الأميرية ـ ١٩٠٩ م
١٦ ـ أصالة الحضارة العربية / ناجي معروف
مطبعة التضامن ببغداد ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٩ م
١٧ ـ أضواء على الفكر الاسلامي / أنور الجندي
المكتبة الثقافية ـ ١٥٢ ـ الدار المصرية للتأليف ـ ١٩٦٦ م
١٨ ـ أفكار في القمة / خالد محمد خالد
مطبعة مخيمر بمصر ١٩٥٩ م
١٩ ـ أنباه الرواة / القفطي
تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٠ م
٢٠ ـ إنه الانسان / خالد محمد خالد
دار الكتاب العربي ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ بلا
٢١ ـ أمالي السيد المرتضى / الشريف المرتضى
مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٠٧ م
٢٢ ـ البصائر والذخائر / أبو حيان التوحيدي
لجنة التأليف والترجمة ـ ١٩٥٣ م
٢٣ ـ البيان والتبيين / الجاحظ

تحقيق السندوبي .. مطبعة الاستقامة بمصر .. ١٩٤٧ م
٢٤ .. البيان والتبيين / الجاحظ
تحقيق عبد السلام هارون .. لجنة التأليف والترجمة .. سنة ١٩٦٠ م .
٢٥ .. تأريخ آداب اللغة العربية /
جرجي زيدان .. دار الهلال بمصر .. ١٩٥٧ م
٢٦ ـ تأريخ الأدب العربي /
حنا الفاخوري .. المطبعة البوليسية .. الطبعة الثانية .. ١٩٥٣ م
٢٧ .. تأريخ الأدبي العربي /
السباعي بيومي .. ج ٣ ط ١ .. القاهرة ـ ١٩٥٣ م
٢٨ ـ ثمرات الأوراق / ابن حجة الحموي
.. ١٨٧٩ م
٢٩ .. جواهر الأدب / السيد احمد الهاشمي
مطبعة السعادة بمصر .. الطبعة الرابعة عشرة .. ١٩٢٨ م
٣٠ .. حديث الأربعاء / الدكتور طه حسين
دار المعارف بمصر ـ الجزء الثاني ـ ١٩٦٠ م
٣١ .. الحياة الأدبية في العصر العباسي / محمد عبد المنعم الخفاجي
الطبعة الأولى .. ١٩٤٥ م
٣٢ .. خاص الخاص / ابو منصور الثعالبي
مطبعة السعادة بمصر .. الطبعة الأولى .. ١٨٠٩ م
٣٣ .. ديوان أبي تمام / شرح الخطيب التبريزي
دار المعارف بمصر ـ ١٩٥١ م
٢٤ .. ديوان علي بن الجهم / تحقيق خليل مردم

المطبعة الهاشمية بدمشق .. ١٩٤٩ م

٣٥ .. ديوان ليلي الأخيلية / خليل ابراهيم العطية وجليل العطية .
مطابع دار الجمهورية - بغداد .. ١٩٦٧ م

٣٦ .. الرؤوس / مارون عبود
دار الكشاف .. الطبعة الأولى .. ١٩٤٦ م

٣٧ .. زهر الآداب / الحصري القيرواني
المطبعة الرحمانية .. ١٩٣١ م

٣٨ - سمط اللآلي / الوزير البكري
لجنة التأليف والترجمة .. ١٩٣٦ م

٣٩ .. الصراع الأدبي / الدكتور محمد نبيه حجاب
المؤسسة المصرية .. المكتبة الثقافية .. ٩٢ .. سنة ١٩٦٣ م

٤٠ .. عبد الملك بن مروان / الدكتور ضياء الدين الريس
أعلام العرب .. ١٠ .. مطبعة مصر .. ١٩٦٢ م

٤١ .. عصر المأمون / احمد فريد رفاعي
دار الكتب المصرية .. الطبعة الرابعة .. ١٩٢٨ م

٤٢ .. العقد الفريد / ابن عبد ربه الاندلسي
تحقيق محمد سعيد العريان .. مطبعة الاستقامة .. الطبعة الثانية ..
١٩٥٣ م

٤٣ - العمدة في محاسن الشعر / ابن رشيق القيرواني
مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الثانية - ١٩٥٥ م

٤٤ - عمر بن عبد العزيز / خالد محمد خالد
مكتبة الانجلو المصرية - الطبعة الأولى - ١٩٦٩ م

٤٥ - العناصر النفسية في سياسة العرب / شفيق جبري

سلسلة اقرأ ـ ٣٧ ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٤٥ م
٤٦ ـ عيون الأخبار / ابن قتيبة الدينوري
المؤسسة المصرية العامة للتأليف ـ سلسلة تراثنا ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ م
٤٧ ـ الغزل / جورج غريب
دار الثقافة ـ بيروت ـ بلا
٤٨ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي / شوقي ضيف
دار المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٦٠ م
٤٩ ـ في البدء كان الكلمة / خالد محمد خالد
مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦١ م
٥٠ ـ فلسفة اللغة العربية / عثمان أمين
الدار المصرية للتأليف ـ المكتبة الثقافية ـ ١٤٤ ـ سنة ١٩٦٥ م
٥١ ـ فن الأدب / توفيق الحكيم
المطبعة النموذجية بمصر ـ بلا
٥٢ ـ قصة عبقري / يوسف العش
دار المعارف بمصر ـ سلسلة إقرأ العدد / ٤٢ لسنة ١٩٤٦ م
٥٣ ـ الكشكول / بهاء الدين العاملي
تحقيق طاهر الطناجي ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ بلا
٥٤ ـ المأمون / الدكتور محمد مصطفي هدارة
أعـــلام العرب ـ ٥٩ ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ سنة ١٩٦٦ م
٥٥ ـ المحاسن والمساوىء / محمد البيهقي
دار صادر وبيروت ـ ١٩٦٠ م

٥٦ - المحاسن والأضداد / الجاحظ
تحقيق فوزي عطوي - الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت - سنة ١٩٦٩ م
٥٧ - المختار من كتاب ثمرات الأوراق / يعقوب عبد الغني
مطبعة كوستاتسوماس وشركاه - بلا
٥٨ - المخلاة / بهاء الدين العاملي
مطبعة البابي الحلبي بمصر - الطبعة الثانية - ١٩٥٧ م
٥٩ - المرأة في الشعر الجاهلي / علي الهاشمي
مطبعة المعارف - بغداد ١٦٦٠ م
٦٠ - معاوية / ابراهيم الأبياري
أعلام العرب - ٦ - مطابع كوستاتسوماس بالقاهرة - سنة ١٩٦٢ م
٦١ - المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين الابشيهي
نشر وطبع عبد الحميد حنفي - البابي الحلبي بمصر - ١٩٤٢ م
٦٢ - المستطرف من الآداب والحكم / محمد سيد كيلاني
مطبعة البابي الحلبي بمصر - الطبعة الأولى - ١٩٦٠ م
٦٣ - المواسم الأدبية عند العرب / عبد الحميد العلوچي
مطابع دار الجمهورية - بغداد - ١٩٦٥ م
٦٤ - مع الضمير الانساني / خالد محمد خالد
مكتبة الانجلو المصرية - الطبعة الاولى - ١٩٦٣ م
٦٥ - ملكتان في بغداد / نابيا أبوت
ترجمة عمر ابو النصر - مطبعة النجوى - بيروت - ١٩٦٩ م
٦٦ - من حديث الشعر والنثر / الدكتور طه حسين

دار المعارف بمصر ـ ١٩٦١ م
٦٧ ـ المهدي العباسي / الدكتور علي حسني الخربوطلي
أعلام العرب ـ ٥١ ـ داو مصر للطباعة ـ بلا
٦٨ ـ مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء / العمري
تحقيق رجاء محمود السامرائي ـ دار الجمهورية ـ بغداد ـ سنة ١٩٦٦ م
٩٦ ـ نكث الهميان في نكت العميان / صلاح الدين الصفدي
المطبعة الجمالية بمصر ـ ١٩١١ م
٧٠ ـ نهاية الارب / النويري
دار الكتب المصرية ـ ١٩٢٤ م
٧١ ـ الوليد بن عبد الملك / الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف
أعلام العرب ـ ١٧ ـ مطبعة مصر ـ ١٩٦٣ م
٧٢ ـ يتيمة الدهر / ابو منصور الثعالبي
مطبعة الصاوي ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٣٤ م

للمؤلف

١ ـ دعبل بن علي الخزاعي

مطبعة النعمان ـ النجف .. ١٩٦٤ م
بحث عميق شائق ، عن حياة الشاعر (دعبل الخزاعي) ، وعلمه وثقافته ومذهبه وعقيدته ، وموقفه من الخلفاء العباسيين ، الذين دوخهم عصراً كاملاً ، وضع مقدمة الكتاب ـ الدكتور حسين محفوظ .

٢ ـ أبو دلامة الأسدي

مطبعة الأداب ـ النجف .. ١٩٦٥ م
عرض لحياة الشاعر الساخر أبي دلامة الأسدي ، يتناول نشأته ، وسيرته مع خلفاء عصره ، وهزله ومجونه ، ودراسة للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتطورات الفكرية والمذهبية التي ظهرت في الشعر والأدب وقد ساعدت وزارة التربية والتعليم على طبعه ، وراجعه الدكتور مصطفى جواد .

٣ ـ العبث الصريح في الغزل العباسي / مخطوط

وهو عرض للتطورات ، التي شملت المجتمع العربي في عصر بني العباس والتي كان على أثرها ا انقلاب الطابع الغزلي في الشعر العربي ، حيث حفل لسان الشاعر ، بالتصريح العاري ، والعبث الصريح .

٤ ـ الأجوبة المسكتة

وهو الكتاب الذي بين يديك الآن ، رحلة ممتعة في العصور العربية ، والوقوف على المسيرة النضالية لكلمة المقاومة العربية ، وهي تخوض صراعاً حاسماً مع الظلم والسلبية والاستبداد ، ومجمع حافل بالصور الرائعة لأجوبة العرب المسكتة ـ والكتاب بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ لتقف على كل ذلك وغيره . . .

٥ ـ الكاريكاتير في أدب العصر العباسي

هو كتابنا القادم ، والذي سيدفع للمطبعة قريباً ، دراسة مستفيضة عن الفن الكاريكاتيري في الشعر والأدب العربيين في العصر العباسي ، معززة بالصور الساخرة الهازلة ، نرجوا أن يكون لقاؤنا قريباً إن شاء الله ...

٢٠٠٠ ـ ١٦ / ١١ / ١٩٧٠

الثمن ٢٠٠ فلس

مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف